A.U.B. LIBRARY

320.95692
Z21aA
c.1

العهد المسؤول

نعيم الزيلع

ابصر النور سنة ١٩٤٣

تغمده الله برحمته سنة ١٩٥٢

Wellington

فخامة الاستاذ كميل شمعون
رئيس الجمهورية اللبنانية

العهد المسؤول

في ٢١ ايلول من العام ١٩٤٣ تربع الشيخ بشاره الخوري على عرش لبنان

وفي صباح اليوم الثامن عشر من شهر ايلول ، سنة ١٩٥٢ انسحب من الحكم تحت ضغط الشعب ، بعد ان اعيته الحيل وسدت في وجهه ابواب البقاء كلها . فيكون الرجل قد حكم البلاد تسعة اعوام غير كاملة .

تسعة اعوام الا ثلاثة ايام !.

وشاءت الظروف ان يلتقي فجر رئاسته بفجر الاستقلال ، فتتوفر له امكانيات الحكم على اوسع مدى ، فاذا هو السيد المطلق الذي يأمر فيطاع !.

واذا « بزلم » العهد يحتاطونه من كل صوب وينطلقون في موكبه الظافر وهم يقرعون الطبول ، ويدقون البشائر .

واذا بأناشيد البطولة تصم الاذان

واذا بالشعب اللبناني يشخص الى اعمال البطولة تلك ، ويده على قلبه !.

واذا بالعهد يبدأ مهمته في وسط غمرة من النشوة ، والفرح ، واذا باحرار هذه الامة ينكمشون على انفسهم امام ابطال العهد ، بانتظار المعجزات ولكن ماذا كان ؟

كان ان اطل علينا ذلك العهد بشرزمة من الزلم والمحاسيب والانصار ، وابناء الاعمام والاخوال ، يتحكمون بلامة على هواهم ، ويتصرفون بشؤونها تصرف المالك بملكه . فلا يرعون حرمة لقانون ، ولا يقيمون وزناً لفضيلة من فضائل المجتمع ، ولا يميزون بين صواب وخطأ ، ولا يفرقون بين ظالم ومظلوم ، فالقوانين دمى بين ايديهم يتلهون بها ، والشرائع مطايا لشهواتهم ، والبلاد مزرعة لهم ، ومواردها وقفاً عليهم وحدهم دون سواهم من الناس .

ومن يتنكر لشذوذهم يكيلون له التهم جزافاً ويلقبونه بالخائن ... ويزلزلون الارض تحت قدميه .

لانهم هم وحدهم اسياد العهد .

هم وحدهم ابطال التاريخ !.

هم وحدهم الذين انتزعوا الاستقلال من بين اشداق الاسد !.

وجعلوا انفسهم رمزاً للبطولة ؛ ومن يجرؤ على تحدي ذلك البهتان في وسط تلك الغمرة الشديدة من التيه والخيلاء . وفي

وسط ذلك الخضم المتلاطم من الغرور والهوس ؟.

وانطلقت السفينة في البحر ... تحف بها الابهة ، وتشخص اليها الاعين من كل صوب ، فاذا بها تضل الطريق ... قبل بلوغ الهدف واذا بعبقرية قادتها المغاوير تنكشف عن بطولة وهمية !.

واذا بابطال معركة العهد يتآمرن كلهم على اغراق السفينة بعد ان اشبعوا منها نهمهم وملأوا منها جيوبهم الفارغة !.

واذا بذلك العهد يصبح اضحوكة على السنة القوم واذا بابطاله الاشداء يصبحون موضوع احاديث الناس في سهراتهم الساخرة ، ولياليهم الصاخبة . واذا بالعهد ينقلب على ابطاله !.

النص اصارة بالعو ،

قالوا ان سيد العهد بطل مغوار وسيف بتار ، وعبقري لا يشق له غبار .

وقالوا ان ذكاءه النادر لا تصطلى له نار ..

وقال ان دهاءه لا يرتقي اليه شك ..

وقالوا انه حجة في الوطنية ، واسطون من اساطين السياسة العالمية ، وعلم من اعلام الفكر ! .

ولكن ماذا رأينا ؟ .

واي برهان قدمه ذلك المغوار على عبقريته ، وذكائه ؟ .

لقد دخل الحكم بطلاً فاتحاً وخرج منه بعد تسعة اعوام « حملاً وديعاً » يقرع السن بالسن ، ويضرب اخماسا باسداس ! .

بل ماذا رأينا من تلك العبقرية والذكاء ؟ .

لقد رأينا ذلك العبقري «الملهم» يدخل الى السراي مديوناً بالف وخمس مائة ليرة لاحد سكانه منطقة الساحل ، ويخرج منها عامر الجيب ، يرزح تحت اثقال الثروة ! .

بل ماذا رأينا من ذلك العهد المشؤوم ؟ .

لقد رأينا العجب العجاب . رأينا البلاد اللبنانية تتحوّل الى مزرعة للاقطاعيين والزلم والانصار والانسباء ، واهل البطانة ، يعبثون بشؤونها ، ويلتهمون خيراتها ، ويستثمرون مرافئها استثماراً تبرأ منه العبقرية ... ويسخرون ارضها وسماءها وماءها وهواءها ، وذرعها وضرعها ، واخضرها ويابسها لشهواتهم الخاصة . فالقانون هم منفذوه ، والانظمة والشرائع هم واضعو بنودها ، والزلم في المزرعة زلمهم ، وكل ما في المزرعة من انسان وحيوان ونبات وجماد «ملك ابوهم» ...

فلماذا لا يوسعون اشداقهم ، وينشبون اظافرهم المحدّدة في فريستهم . ومن احقّ منهم بالبلع ، والسف . اليسوا هم اسياد

المزرعة ، لا ينازعهم في ملكيتها منازع ؟ .

تلك هي العبقرية التي حدثنا عنها ابطال العهد ..

وذلك هو الدهاء السياسي الذي طالما تغنّ به اسياد المزرعة ! .

بل هذا هو الذكاء المفرط الذي كان الزلم والمحاسيب ينسبونه الى زعماء العهد المشؤوم ! .

ولقد توفرت لزعماء ذلك العهد الاسود امكانيات لم تتوفر لغيرهم من الذين مرّوا على رأس موكب الحكم . فقد كانت موازنات الدولة اطوع لهم من بنانهم . وكان نواب العهد يتراممون على عتبات العهد ، ويحنون لها الرقاب والرؤوس مستسلمين . وكانت الوزارات تهبط وتعلو وتقوم وتقعد كأنها الدمى في ايدي الاطفال ...

وكانت النيابات تباع وتشرى « بالمزاد العني » في السوق السوداء ، كما تباع رؤوس البطيخ ، او روؤس الماشية في سوق اللحم . وكانت ارقام الموازنة تنتقل من بند الى بند ، ثم تذوب وتتلاشى في جحيم الشهوة بدون ان يتلفّت اليها عنق ، او يحس بها ضمير ...

لقد كان في وسع ذلك العهد حيال هذه الامكانيات الكثيرة ان يكون من اسعد العهود ، وكان في وسع سيدّ ذلك العهد ان

يخرج من السراي بطلاً فاتحاً ، كما دخل اليها بطلاً فاتحاً .. ولكنه لم يفعل ، او قل لم يشأ ان يفعل ، لان «النفس امارة بالسوء» ...

ثم .. ماذا ؟

واستمر طغيان العهد . واستمرت السيطرة .

وراح الشعب يئن ويتألم . فالعدل مفقود ، والنظام مفقود ، والحرية مفقودة ، وكرامات الناس مهدّدة ...

فالرعاع يتحكمون بالاحرار . والزلم في الشارع يفرضون زعامتهم على ذوي الكفاءات . والحقوق تضيع بين ايـــدي السماسرة . وشهوات اهل البطانة لا تعرف حداً للطمع . ومصالح الناس تخضع للحزبية المضرة ، والانتقام المرير . وخيرات المزرعة توزع بالعدل والقسطاس على نفر من الاهل والانسباء والمقربين دون سواهم . والامة تشكو ، وتتظلم ، ولكن ... من يصغي الى انات الشعب ؟ .

ووثبت الصحافة الى المعركة تنقل الى الحاكمين انات الشعب فتفتح لها ابواب الخزينة ، واذا ببالات الغزل ، وصفقات الكـوتا والنقد النادر وقرش الفقير والمخصصات السرية تغدق عليها بسخاء ، فتلجم منها بعض الالسنة ، وتهدّد البقية الباقية منها بالسجن ، والتعطيل ، والحرمان ! .

واعمتهم الانانيـة ، وعصف في نفسهم الغرور ، فراحـوا يسخرون القوانين والانظمة للانتقام من الاحرار ، والتنكيل بهم محافظة على العهد . عهـد الاستهتار ، والسمسرة والاقطاعية ، والحزبية المجرمة ، لـكي يرفعوا الصعاليك منهم الى ذروات المجد . فاذا باهل البطانة حولهم يؤلفون عصابة من حديثي النعمة الذين عفروا وجوههم بالتراب ، وذلوا من اجل الوصول الى العتبة ... واذا بنا امام مزيج من « الاسيـاد » لا عمل لهم سوى النميمة ، ولا هم لهم سوى الافتراء ، والدس عـلى الاحرار ، والتنكر للوجاهات ، والبطش بالزعامات الحقيقية ...

واطلقوا لشهواتهم العنان ، فاذا هم في فترة قصيرة من الزمن من اصحاب المـلايين . واذا بالدوائر والشركات الكبرى تخضع لمشيئتهم ، واذا هم يساومون على الوظائف وعلى المشاريع العمرانية واذا بجيوبهم تغص بالالوف والملايين . واذا بالبنوك والمصارف تزرح تحت وطأة تلك الثروات الطائلة ...

واذا بهم يوقظون الضغائن في الصدور ، وينعشون الاحقاد في النفوس ، ويغذّون الحزبية ، ويدفعون الزلم الى تشويه سمعات الاحرار ، وتلويث اكفهم بالمال لـكي ينحدروا بهم الى لجة الذّل.

وجعلوا من القانون سلاحاً لتحقيق مآربهم ، وتنفيذ سياساتهم الحزبية ، فافسدا الشعب بدرهم الشعب . وبفلس الارملة وقرش

الفقير جمعوا حولهم بعض الصبية ، واطلقوهم في الشوارع يصفقون « للعهد » ... ويشتمون كل حرّ ، ابيّ لم ينزلق الى لجتهم ، ولم ينحدر الى مستواهم الوضيع ...

وبالرغم من ذلك الطغيان ، والفوضى والاشمئزاز بقيت لهم حناجرهم المريضة تهتف للعهد البائد ، وتسأل له «طول العمر»... وكان العهد قد افسد فيهم الضمائر ، ولم يبق في تلك النفوس ذرة من الخجل والحياء ..

اسياد العهد

وتطور « نظام » الحكم في المزرعة ... ووسعت الصلاحيات فاذا بالابن يحكم ، واذا « بالست » تأمر وتنهي ، واذا بالشقيق يقضي ويمضي ، واذا بالخدم والحشم والزلم والمحاسيب يذبحون باظافرهم ... حتى بات متعذراً على «الرعية» معرفة السيدالمسؤول في العهد .

وتغلغل سرطان النفوذ في كل صدر من صدور اهل البطانة، فاذا بالاوامر توجه الى هذا الموظف ، وذاك المأمور من جهات مختلفة . واذا بالاقطاعيين يساهمون في معركة الفوضى والطغيان الى اقصى حد ... واذا بالسراي الكبرى يضعف نفوذها حيال نفوذ « السرايات » الاخرى . واذا بالمسؤول في الدائرة ينكمش

على نفسه امام ذلك التيار المخيف من الاوامر العالية .. فهو لا يعرف لمن يخضع واي امر ينفذ ، وباي سراي من تلك السرايات يلتحق ، واي اله يعبد ... وعلى اي دين يصلي .

واستمرت الفوضي فضجت الالسنة بالشكوى ، وبدأت صدور القوم تختلج وتتألم . وبدأ النواب انفسهم يتظلمون !.

ولكن العهد لم يحرم من الحيلة . وسيد العهد لا يعوزه «الدهاء» والخزينة لم ينضب معينها ، والشعب لم تنتفخ اوداجه بعد ... فماذا يريد النواب ؟..

هذه ابواب الوزارات مفتوحة امام كل نائب « حردان » ... فمن لا يقنع بشق طريق ، فلا بأس من « حشر » زلمه في وزارة الاشغال العامة ، او في وزارة التربية الوطنية ، او في وزارة الاقتصاد الوطني او في محافظة بيروت ، او في وزارة الزراعة !.

وهل يبخل العهد على زلمه الاشاوس بالعطايا والانعامات ، وهم الذين احرقوا انفاسهم بخوراً على مذبح شهواته ؟.

ولمن تعطى الخيرات اذا كانت لا تعطى الى الزلم والمحاسيب ؟. واذا بالدوائر الرسمية تغص بالزلم والمحاسيب . واذا بالموازنة تئن تحت وطأة ذلك العهد المشؤوم . واذا بالشكوى تعم ، واذ باحرار الامة يشمرون عن سواعدهم لمناهضة الفساد ، وتحرير البلاد من مستثمريها .

فائد الثورة

واطل الرئيس الخالد ، المغفور له الرئيس اميل ادّه من وراء تلك الغيوم السوداء على رأس كتلة من احرار لبنان يهزّ اصبعه في وجه العهد ... ويحذره من مغبة الانزلاق الى اللجة !

اطلّ بوجهه اللبناني ، وبقلبه الملتهب غيرة على مصلحة لبنان يحذر العهد المشؤوم من السقوط والتفريط بمصلحة اللبنانيين ، ورمى قذيفته الاولى في وجه العهد فكان لها الدويّ الهائل . وبات القوم على حذر

وبدأت معركة التحرر . وبدأ الرئيس اميل ادّه نضاله العنيف ضدّ العهد البائد ، فالتف حوله عدد من الشخصيات المؤمنة بالرسالة ، ورفعت الكتلة الوطنية علمها الخفاق فوق الرؤوس . في وسط ذلك الطغيان ، والاستبداد ، «والفستيريا» الشديدة فلافت في بادىء الامر صعوبات جمة ، ومشقّات الله بها اعلم . ولكنها بقيت تشق طريقها بنشاط بما توفر لها من الايمان الشديد ، وصلابة العود ، مدفوعة بعامل الغيرة على لبنان ، ومصلحة لبنان العليا .

سنة ١٩٤٧

واستمرت الكتلة الوطنية في عنادها . واستمرّ الاخذ والردّ بينها وبين السلطات المحلية . فاضطهد اشخاصها ، وانزلت بهم

العقوبات الشديدة ، ووجهت اليهم شتى التهم ، ونعتوا « بالخيانة » لانهم تنكروا للشذوذ ، ، ووقفوا في وجه الحزبية ، واطلقوا على لبنان اسم المزرعة ... وكشفوا النقاب عن « فضائل » ذلك العهد المشؤوم .. ولكن ذلك لم يوهن عزمهم ، ولم يزحزحهم عن ميدان الجهاد ، بل كان حافزاً لهم في الاستمرار ، والعناد ، والانطلاق نحو الهدف ...

واطلّت على لبنان في هذه الفترة معركة الانتخابات النيابية ، التي اطلق عليها قائد الثورة التحريرية الاول الرئيس اميل اده اسم « جريمة ٢٥ ايار » ..

اطلت تلك المعركة على لبنان ، فكان لا بدّ للعهد الاسود من محاربة الوطنيين الاحرار ليخلوا له جو الاستثمار ، والشهوة ، في الدرجة الاولى ، وليمهّد السبيل في الدرجة الثانية الى تجديد الرئاسة للشيخ بشاره الخوري ، بعد تعديل الدستور ... فكان كل هم الرجل اذاً ان يستمرّ في ولايته ست سنوات جديدة ، ريثما يكون قد اوجد حلاً مناسباً للولاية الثالثة ...

وكان هذا التجديد بداية النهاية لسيد العهد .. لانه برهن للملأ بان الرجل لا يهمه من قضايا البلاد الا تجديد الولاية له باي ثمن كان ..

فكان لا بدّ اذاً من انتقاء نخبة « مباركة » من النواب تقبل بتعديل الدستور ، وتجديد الولاية « لمولاهـــا » ست سنوات جديدة ... ولما كانت المعارضة شديدة الوطـأة في تلك السنة ، فكان لا بد اذا مـن التزوير . ولا بأس ان يقوم المجلس المزوّر بتعديل الدستور ، ثم بتجديد الولاية للرئيس ... فالسر كل السر في تأمين البقاء عن اية طريقة كانت !! .

وكانت المعركة شديدة بين الاحرار وجماعة العهد ، وكان الشعب في اكثر المناطق اللبنانية يقف الى جانب مرشحيه الاحرار بيد ان التزوير الشامل الذي اطلّ علينا به عهد «المجاهدين المغاوير» قضى « بفوز » الشلة المختارة لتجديد الرئاسة وتعديل الدستور ، دون سواها ...

وانتقل الفساد والتزوير مـن صناديق الانتخاب الى الدوائر الرسمية ، فاذا بها تغرق في لجة من الفوضى لم يشهد لها لبنـــان مثيلاً . واذا بالضمائر تصبح اثراً بعد عين ، واذا باعمال السمسرة و « البخشيش » تصبـح شرعة في بعض الدواوين والمؤسسات الرسمية . واذا بنواب ذلك العهد انفسهم يتعامون على الفواجع ، ويتجاهلون المآسي التي تمثل على مسرح الامة ويغمضون الطرف عن القاضي السمسار والموظف العبد .. والمحاكم المستهترة !.

واذا بالبلاد تنتقل الى اسوأ الحالات . واذا بالكتلة الوطنية تندفع بكل ما تيسر لها من امكانيات الى تحطيم الاصنام ، ودك العروش المزيفة ، ومكافحة الفساد اينما كان ، فتصفق لها الاكف ، وتشرأب اليها الاعناق من كل صوب .

استمر الاحرار في نضالهم المستميت ، واستمر العهد في مغامراته الجنونية ، واستهتاره الاعمى ، واستسلامه المستمر للفوضى والطغيان ، واندفاعه وراء الشهوة ضارباً بارادة الامة ، وصيحات الشعب عرض الفضاء ! .

وشعر بعض النواب والوزراء بالفضائح ، وملأت الروائح الكريهة انوف الناس في كل مكان . ولكن كيف يجسر النائب على الكلام ، وهو يعرف تماماً انه مدين بنيابته للعهد ... وانه اذا لم يسكت عن فواجعه ومآسيه تنهار تحته الكرسي ، وتسد في وجهه ابواب الرزق ؟ !

واستمر الطغيان

واستمر الطغيان . واستمرت الفوضى .
واشتد التكالب على جمع المال ! .
وفرضت سيطرة العهد على الشركات ، والدوائر ، والمؤسسات

ولم يسلم منها كبار التجار ، والمستوردين ، وذوي المصالح في البلاد ! .

فالمعاملات في الدوائر لا تتحرك الا اذا حركتها ايدي السماسرة لقاء اجور محدودة !.

والوظائف لا تعطى الا للذين « بيضّوا بختهم » وعملوا واجبهم الانساني مع الزلم والمحاسيب والانصار ! .

والانعامات لا توزع الا على المطبلين للعهد ... الداعين له بطول البقاء ! ..

والترقيات لا تتم الا بعد مساومات حزبية مخجلة ! ..

والقوانين لا تنفّذ الا لمصلحة اهل العهد.. ولمنفعتهم الشخصية نكاية بالاخصام ، وانتقاماً من الاحرار ..

ومن كان بدون عمل من اهل البطانة فابواب النافعة ،والتربية الوطنية ، والزراعة ، والمطار والتابلين مفتوحة امامه على مصاريعها، حتى باتت تلك الدوائر مرتعاً للخلان ، وملجأ للزلم يأوون اليه سعياً وراء العيش ، ومن لا يعجبه الامر فليشرب مياه البحر . فالعهد لاهل العهد ، وليس «للخونة» نصيب في قرص الحلوى ...

وبات لبنان في هذه الفترة الشاذة من الوقت اشبه بمزرعة حقيقية ، لبطانة العهد . وباتت دوائر الحكومة وقفاً على تلك

الفئة الخاصة من الناس دون سواهم ، يرتعون بها ، ويقتسمون ارباحها ، وينعمون بملذاتهـا على هواهم ، وحصرمة في عين العزول ...

وبات الحكم في الشارع للرعاع . وباتت الافضلية في الحياة لحملة المدسات والخناجر والعصي ! .

ولعلع صوت الصحافة في الفضاء ينشد الاصلاح . وانبرى الخطباء على المنابر يرسلون الصيحة بعد الصيحة ، واسترسل الاحرار في تأنيب المسؤولين بشتى الطرق . ولكن العهد لم يسمع ... وقديماً قيل « ان اشد الناس صمماً هو الذي لا يريد ان يسمع ! »

وتمادت الصحافه في نضالها فنكل بها العهد ؛ وارسل كتابها الى السجون ، بعد ان عطّل صحفهم ، وانزل بها اشد الاضرار والخسائر ! .

وعقدت المؤتمرات ، ونشرت على الملأ البيانات تكشف الستار عن مآسي العهد ، وتنسب اليه كل تهمة شنعاء . فاذا بذلك العهد يسكت على « البهدلة » ويصمّ اذنه عن التقريع والتشنيع ، ويتحمل الاهانة بجلد عظيم ! ..

وامتدت الفوضى الى جميع الدوائر الرسمية تقريبا .
ولم يسلم منها الا الجيش ، الذي بقي محافظاً على حياده ، وعلى استقلاله التام ، وعلى دقة تنظيمه وابتعاده عن صغائر ذلك العهد المشؤوم بفضل قيادته الحكيمة ، الرائعة التي ذهبت مضرباً للمثل في لبنان .

ففي وزارة الاشغال العامة حشر العهد عدداً كبيراً من الزلم فرضتهم عليه الحزبية والشهوة والاقطاعية الجامحة . ولو اقتصر الامر في وزارة النافعة على حشد المحاسيب في الدوائر لهانت المصيبة ، ولكن النافعة — وما ادراك ما هي النافعة — اصبحت في الاونة الاخيرة باباً للارتزاق يقتحمه كل مؤمن بالعهد .. فكم عقدت فيها صفقات ، وكم اعطيت فيها التزامات . وكم ذابت فيها ثروات ، ويكفيك ان تذكر فضائح المطار الدولي ، وكم رافقها من فواجع ، واهوال في مشتري الاراضي ، واستملاك البساتين العائدة الى المحاسيب والانصار !! .

وماذا كان يجري في وزارة النافعة ؟ .

نقل الينا هذه الماساة «زلمة» احد كبار الوزراء فقال :

كانت وزارة النافعة تسلّم الالتزامات الى المتعهدين بطريقة « الظرف المختوم... » ولكنها كانت تتأخر في استلام الطرقات بعد الانتهاء من شقها ، او تزفيتها لغاية في نفس يعقوب ..

ووزارة النافعة مجبرة على استلام الطرقات من المتعهدين في ظرف شهرين من نهاية العمل . فاذا لم تستلمها ضمن هذه المدة يستطيع المتعهدان يقيم عليها الدعوى امام القضاء ، ويطالبها بكل عطل وضرر .. واذا انقضت هذه المدة ولم يقم المتعهد الدعوى يسقط حقه في المطالبة .

ويروى ان عشرات المتعهدّين انهوا اعمالا كبيرة في النافعة ولم تستلمها النافعة منهم ضمن المدة القانونية كما انهم هم لم يقيموا الدعوى على النافعة .. وسقط حقهم في المطالبة ! .

ولكن شيطاناً خبيثاً من شياطين العهد « المبارك » همس في آذان المتعهدين قائلاً . لماذا لا تطالبون النافعة بالعطل والضرر بسبب تمنعها عن استلام الالتزامات منكم ؟ .

اجابوا : لان المدة القانونية قد انقضت — وهي شهران — فلا يحق لنا بعد ذلك ان نطالب ! .

قال الشيطان الخبيث : حسناً . وماذا « تدفعون » اذا

استحصلت لكم على فتوى قانونية للمطالبة ، واستحصلت لكم فوق ذلك على حكم بالعطل والضرر ؟ .

اجاب المتعهدون : نعطيكم ما تطلبون من اصل المبلغ ! .. وبطريقة سحرية اقيمت الدعاوى على النافعة ، وظهرت على اثرها احكام تقضي بالزام الوزارة على دفع التعويض للملتزمين ... ولعلك تدهش اذا عرفت ان هذه التعويضات تتجاوز مئات الالوف من الليرات ! .

وان اصحابها اصبحوا في غفلة من الزمن من كبار الاغنياء . وانهم منذ ذلك التاريخ وهم يدعون للعهد بطول البقاء ...

وفي دوائر الاشغال العامة « تقاليد » يعرفها اصحاب المصالح الذين انزلقوا الى تلك الهوة . فانت لا تستطيع ان تقبض غرشاً من هنالك اذا لم توزع نصفه على «الاجاويد» والسماسرة ...

والعامل المسكين الذي يسلخ ايامه في الحرّ المذيب في ورشات النافعة لا يستطيع ان يقبض اجره اليومي الا اذا تنازل عن قسم منه للسماسرة . سماسرة الدوائر الذين غض عنهم العهد طرفه ، وتعامى عن شذوذهم ...

وفي النافعة توزع «الورشات» على النواب لا طمعاً في اصلاح الطرقات ، وانما ارضاء لنائب المنطقة .. والعدد الاكبر من عمال الورش ، ورؤسائها لا يعرفون مكان الورشة على الطريق .. لان

نائبهم قضى بتعيينهم في الورشة لكي «يتسببوا» فقط ، ويوزعوا الاعتماد فيما بينهم ... على شرط ان يكسب النائب اصواتهم في معركة الانتخابات !.

ولعلّ من المفيد ان يعرف القارىء ان اعتمادات الطرقات تخصّص بالمناطق والقرى الموالية فقط ، دون سواها ؛ لان سياسة ذلك العهد «المبارك» كانت تقوم على التشفي والانتقام لا على الضمير والوجدان ... فلا علاقة للمصلحة العامة اذاً بتلك الاعتمادات !!

في وزارة الزراعة

لم تكن وزارة الزراعة اقل شأناً من غيرها في توزيع انعامات العهد « السعيد » على الزلم والمحاسيب ، فهي قد ضربت رقماً قياسياً عالياً في الكرم والسخاء ... ولو ان الاعتمادات المالية التي وزعتها وزارة الزراعة على الزلم والانصار ، استعملت في انعاش الزراعة ، ومكافحة الحشرات ، وتشجيع الانتاج لكان لبنان اليوم يحتلّ مركزاً مرموقاً في الحقل الزراعي .

ان في وزارة الزراعة مئات العمال يتقاضون معاشاتهم ، ومرتباتهم الشهرية من الخزينة بدون ان يتعرفوا الى مقرّ الزراعة في السراي .. وبدون ان يعرفوا محلهم من الاعراب في الوظيفة !.

وهناك مئات الموظفين والعمال ينصرفون الى اعمالهم الخاصة في المدن والقرى ، وفي آخر كل شهر يذهبون الى صندوق المال فيقبضون مرتباتهم ، ويمدّون السنتهم للناس ...

اذا قيل لك ان « حلاقاً » في المدينة يقبض من اعتمادات وزارة الزراعة ١٥٠ او ٢٠٠ ليرة في الشهر بصفته موظفاً فيها وهو صاحب صالون حلاقة مثلاً في ساحة الشهداء فما عساك ان تقول ؟ .

واذا قيل لك ان صحافياً – مثلاً – يعمل موظفاً في الزراعة فيقبض المعاش المخصص له في آخر كل شهر ، وهو لا يعرف من الزراعة غير اسمها ، فماذا تقول ؟ .

واذا قيل لك ان في وزارة الزراعة اشخاصاً ترسل اليهم مرتباتهم الى بيوتهم لكي توفر عليهم مشقة الطريق ، فما عساك وربك ان تجيب ؟

ولسنا نحدثك عما يجري في مشاتل الزراعة من شذوذ . وعما يجري في المختبرات الفنية من شؤون وشجون . وعما يجري في رخص الاستيراد من مغاير ات ، لان ذلك يستغرق صفحات هذا الكتاب كله ، فحسبنا ان نكتفي بهذا القدر من « الفضائل » التي تمت في العهد « المبارك » عهد الطغيان والظلم والاستهتار ...

في الخارجية

وفي وزارة الخارجية . ماذا يجري ؟

الا يكفي ان يكون للبنان الذي هو اصغر جمهورية في العالم تقريباً ثمانية عشر وزيراً مفوضاً، ينتقلون في عواصم اوربا واميركا، ويستمتعون بجمالات العالم ، والقسم الاكبر منهم لا يرى هو نفسه فائدة من وجوده في المنصب الرفيع ؟

اننا نريد ان نتساءل اذا كان لبريطانيا العظمى ، او لفرنسا ، او لاميركا مثل ما لنا من المناصب الرفيعة التي تستهلك الاعتمادات الكبيرة بدون ان تؤدي عملاً مرموقاً للأمة !!

ونضرب مثلاً على ذلك سعادة وزير لبنان المفوض في مصر الشيخ سامي الخوري ، الرجل الذي طالما تغنى الموالون بعبقريته ، ونضجه السياسي ، وبعد نظره في معالجة الامور ... فنتساءل : ماذا قدم سعادته للبنان طوال عهده الزاهر ؟ .

مع العلم بان الشيخ سامي هو وزير لبناني مفوض «فوق العادة» لدى اربع دول هي المملكة المصرية ، والمملكة العربية السعودية، وامبراطورية الحبشة ، وحكومة ليبيا ...

ان في مصر اكثر من ٢٥ الف لبناني لا يعرفون على اي دين يصلّون فلاهم مصريون في عرف مصر ، ولا هم لبنانيون في عرف

لبنان لانهم يعيشون تحت سماء مصر . وبالرغم من صيحاتهم المتكررة ، ومراجعاتهم المستمرة لم يتمكنوا من الوقوع على جنسية من الجنسيتين . فلا مصر تعرفهم من ابنائها ، ولا لبنان يمنحهم رعويته بالرغم من نسبتهم الى لبنان . فماذا فعل جناب الوزير المفوض حيال هؤلاء اللبنانيين ؟ .

واي عمل كبير ، او صغير قام به سعادته لازالة الحواجز القائمة بين لبنان ومصر ؟ .

الم يضطهد الفنانون اللبنانيون في مصر على مرآى ومشهد من سعادة الوزير المفوض . فماذا فعل . انه لم يستطع ان يقف في وجه ام كلثوم ... ليردّ كيدها الى نحرها ، ويمهّد امام الفنانين سبيل العمل ! .

اذا ما ذا فعل سعادة الوزير الشيخ سامي الخوري ؟.

ماذا فعل ؟ .

لدينا نصّ رسالة هامة بعث بها النقراشي ، عندما كان رئيساً للوزارة المصرية الى احد المراجع اللبنانية ينسب فيها الى وزيرنا المفوض اشياء كثيرة نمسك عن نشرها ليس ضناً بسمعة شخص من الناس ، ولكن ضنا بسمعة لبنان . هذا الوطن الاشم الذي

تآمر نفر من ابنائه على تلطيخ سمعته ، اشباعاً لشهواتهم ، في غفلة من الزمن .

وقد استغربت هذه الرسالة « النقراشية » كيف ان العهد « المبارك » يسكت عن تهريب الحشيش الى مصر ، كما يسكت عن تهريب الذهب ، بل كيف يغض الطرف عن تلك القاعدة التي اسست في القاهرة بمعرفة شخصيات « كبيرة » لاستلام كميات الحشيش ، والمتاجرة بها بدون ان تحسب للعاقبة اي حساب!.

وتقول الرسالة المذكورة ان قاعدة التهريب تلك درّت على اصحابها حوالى ١٥ مليون ليرة .. ولو لم يقبض الامن العام المصري على المهربين منذ بضع سنوات ، ويفضح اعمالهم ، ويزّج فئة منهم في السجون لا ستمر مكتب التهريب في مواصلة نشاطه الى اليوم ...

هذا بعض ما ورد في تلك الرسالة . افلم يكن للشيخ سامي علم بهذه الصفقات . افلم يعرف عنها شيئاً ؟!

وفي الخارجية ايضاً

وماذا في الوزارة الخارجية ايضاً ؟ .

عندما اشتدت المعركة بين سيادة المطران اغناطيوس مبارك ،

رئيس اساقفة بيروت السابق والكرمي الرسولي ، ماذا كان على الوزارة الخارجية ان تفعل بل ماذا كان على وزير لبنان المفوض في روما ان يفعل ؟ .

لقد كان عليه ان يتلقى الاوامر من هنا . من مرجع عال كبير بان يعمل ضدّ سيادة المطران مبارك ، ويسعى جهده لافتلاعه من ابرشية بيروت لانه رجل «مزعج» ... لا يقدم الخضوع كله الى العهد ، ولا يعترف بالامر الواقع .

وهكذا كان العهد « السعيد » يحشر نفسه حتى في سياسة بكركي ، ويتنكر للذين نزلوا معه الى الشارع ، وسخروا بلاغتهم لتأييده . ان سياسة العهد كانت مبنية على الانتقام ، والحقد ، والتشفي ! .

وكما عمل العهد ضد سياسة المطران مبارك هكذا عمل ضد سياسة بكركي ، فهو قد تنكر لها اكثر من مرة ، وضرب بزعامتها عرض الفضاء ، ولم يقم لها وزناً في كثير من المناسبات التي مرّ بها العهد « السعيد » ...

وتنكر العهد ايضاً للمغتربين فلم يسلم بتمثيلهم في الندوة ، ولم يسلم بلبنانيتهم ... وحجب عنهم جنسيتهم . وهل نسينا ذلك الموقف الشاذ الذي وقفه العهد « الزاهر » ضد صاحب جريدة الهدى في نيويورك المغفور له سلوم مكرزل ، لانه لم يشأ ان

يمشي في مـــوكب الطغيان ، والفوضى ، وان يفرط بحقوق المغتربين اللبنانيين . ثم هل نسينا كيف رمى سلوم المكرزل وسام الارز في وجه العهد ، بعد ان كفنه بمقال بليغ شرح فيه كيفية ارجاع الوسام الى الحكومة تحت هذا العنوان : « كيف ارجعنا الى الحكومة وسامها » !!

اذا كان العهد قد نسي ذلك كله فالاحرار المخلصون للأمة لم ينسوا . ولا بد ان تدق ساعة الحساب . وعندئذ تبيض وجوه ، وتسود وجوه !!

في الاقتصاد الوطني

وقد مثلت دوائر الاقتصاد الوطني في العهد « الميمون » دوراً من المع الادوار ... فكانت طوال السنوات السابقة « كرماً على درب » ...

فهي التي وزعت بالات الغزل على الصحافيين ، لكي تلجم السنتهم ، وتحبس انفاسهم عن سيئات العهد !

وهي التي وزعت قرش الفقير على الاغنياء ، ... وارضت نفراً من النواب والزعماء بحفنة قليلة منه لكي تكسب سكوتهم ثم تصرفت بالقسم الاكبر منه تصرف المالك بملكه ! .

وهي التي منحت الرخصات والمأذونيات والاجازات الى الزلم

والمحاسيب ، فرفعتهم بسرعة البرق الخاطف من الحضيض الى اوج المجد والسعادة ! .

وهي التي اشتركت بصفقات السكر والارز والبن والسيارات والاقمشة ، وغيرها . ويكفيك ان تعلم انها هي التي اشرفت على توزيع الاعاشة في زمن الحرب ، وهي التي شاركت اصحاب الافران في زيتهم وقرصهم ... وهي التي كانت تفرض اسعار الحنطة والدقيق على الاهلين « بخوف الله » ..

ولا تزال روائح الطحين الفاسد تعبق حتى اليوم في انوف الناس . ولا يزال الاهلون يلعنون تلك الساعة وتلك الايام التي مرت عليهم في ظل اعاشة الحرب ... وفي ظل اعاشة الاقتصاد الوطني الكريمة !!

ثم ... من الذي اوجب على وكلاء السيارات في بيروت ان يدفعوا مئة ليرة لبنانية عن كل سيارة يسمح لها بدخول البلاد ؟.

الجواب : هو العهد «السعيد» طبعاً ...

ثم ... كيف سمح بادخال ٥٢ سيارة الى لبنان بدون رسوم جمركية ... ولماذا لم يتفضل العهد «المبارك» باعطاء الجواب على سؤال النائب كميل شمعون وقتئذ الذي قذفه في وجه الحكومة والمجلس ؟ .

اذكر ان احدَ كبار النواب المعروفين في المجلس قال لي على اثر تقديم ذلك السؤال : افهم ان الانسان يستطيع ان يستهلك بظرف ست سنوات ٥٢ قميصـــاً ، او ٥٢ حذاء ، او ٥٢ ربطة رقبة مثلاً ، ولكني لا افهم كيف يستطيع ان يستهلك ٥٢ سيارة تبلغ زنة الواحدة منها عشرات القناطير ؟! .

ثم من احتكر الدولارات في العهد «المبارك» ووضع يده على النقد النادر .

الجواب : العهد «السعيد» طبعاً ..

ثم كيف حرم الطلاب اللبنانيون في اوربا واميركا من النقد النادر لكي تعطى كميات النقد تلك الى بطانة العهد ، يقيمون بها الولائم ، ويشربون بها الوسكي والشمبانيا على ضفاف السين ، ويشمّون بها الهواء بين خمائل فرنسا على حساب الامة ؟ .

ان نواب المعارضة قد سألوا العهد وقتئذ ، ولكن العهد لم يجب ، ونامت اسئلة النواب في الادراج . فهل من يوقظها اليوم مـــن سباتها ويطلقها في وجه ذلك العهد المشؤوم ؟ .

فصل من رسالة العهد ...

يحكى ... ان تاجراً كبيراً من تجار البلد عقد النية عـلى جلب كمية من الحنطة باسعار مخفضة ، وطرحها في الاسواق على

امل ان يفرج كربة التجّار ، ويؤمن الاستهلاك المحلي في الوقت الذي كانت تشكو فيه البلاد من قلة وجود الحنطة .

وتعقدت في وجهه المعاملة ، بدون ان يعرف لها سبباً . والتجأ الى هـــذا وذاك من كبار الناس ولكن عبثاً ، فالعقدة لم تحل ، والمشكلة لا تزال قائمة ! .

وراح يشكو امره في ذات يوم ، الى احد اصدقائه فقال له : الا تعلم ان زلم العهد هم المسيطرون اليوم على هذه الصفقات ، وانك اذا لم تشركهم بها فلا تستطيع ان تفعل شيئاً ؟ .

وبعد مناقشة طويلة اقتنع التاجر الكبير بالموضوع ومشى هو وصديقه الى لولب حركة الاستيراد في ذلك العهد ، يبسطان له القضية ! .

قال رجل البطانة : وكم هي الكمية ؟ .

ج — ٢٠ الف طن اريد ان اجلبها الى لبنان من اوستراليا .

— عال ... انا اتعهد لك بانجاز المعاملة في ظرف ٢٤ ساعة

— اكون ممتناً ، شاكراً ..

— ولكن على شرط ان يكون لي نصفها ؟ .

— نصفها ؟ . الا تقبل بالربع ؟.

— ابداً .. النصف ، تماماً وكمالاً ...

قال الراوي : واذ ذاك انطلق التاجر من الباب على غير هدى ، بعد ان قرر الغاء الصفقة ، وعدم تعاطي تجارة القمح في ظل ذلك العهد «السعيد» ..

في الداخلية

واطل العهد «السعيد» على وزارة الداخلية فانعش فيها روح الحزبية ، واضرم في جنباتها الحزازات الضغائن والاحقاد ، وايقظ سياسة المختار والناطور من سباتها العميق ، واخضعها الى سياسة التشفي والانتقام . فمن كان ينتمي الى العهد عين ناطوراً او مختاراً ، ومن كان ينتمي الى غيره من العهود « البغيضة » اقصي عن دوائر الحكومة ... الا اذا قبل « التوبة » وانصاع الى الامر الواقع ...

ولم تقف سياسة الداخلية عند هذا الحد فهي قد طغت على الدرك والشرطة والبلديات فوجهتها توجيهاً حزبياً لاغبار عليه .. فاذا برجال الدرك يبطشون «بالحونة» في كل مكان ، وينظمون بحقهم محاضر الضبط ، ويلاحقونهم من اجل امور تافهة بكل شدة انتقاماً منهم لانهم لم يؤمنوا «بفضائل» العهد ...

وقد روى لنا بعض الاشخاص ان وزارة الداخلية كانت تحكم على بعض الاشخاص — غير اللبنانيين — بالابعاد خارج الحدود

بسبب اقدامهم على التهريب ، فـــاذا بايدي العهد السحرية تمتدّ الى اولئك «المساكين» وتنتشلهم من الهوة ، وتبطل مفعول تلك القرارات ، وتأمر بابقائهم في لبنان !!

فلماذا ؟ .

وكان العهد «السعيد» يفرض سيطرته التامة على المحافظين والقائمقامين ورؤساء البلديات . وكان فريق كبير من هؤلاء ، يتلقى الاوامر من زلم العهد ، بدلاً من وزارة الداخلية .. وكثيراً ما كانت الاوامر توّجه اليهم بالتلفون ، فيسرعون الى تنفيذها ، والا حرموا من العطف السامي ، وزلزلت الارض تحـــت اقدامهم !! .

في العدلية

ولم يسلم دار القضاء من الفوضى ...

ولم يستطع ان يقف في وجه التيار الجارف ، تيـــار العهد المخيف . مع ان الواجب كان يقضي على دار القضاء ان يبقى بعيداً عن التيارات السياسية ، والعوامل الحزبية ، مهما تقلبت الظروف ، واشتدت سواعد المفسدين .

ولكن ما حيلتنا بالامر الواقع ؟

ولو عرف القارىء ان امام دوائر الاجراء احكاماً مبرمة لم

يتمكن اصحابها من تنفيذها اكراماً لسود عيون العهد ، فما عساه ان يقول ؟

ولو عرف ان هناك احكاماً اصدرها مجلس شورى الدولة ضدّ الحكومة فلم يجرؤ اصحابها على وضعها موضع التنفيذ خوفاً من اغضاب اهل البطانة في ذلك العهد « الميمون » فماذا يقول ؟

ولو عرف ان هناك احكاماً اخرى صدرت عن دار القضاء ، واكتسبت الدرجة القطعية ، وهي لا تزال تهجع في الادراج نزولا على رغبة المسيطرين من اهل البطانة ، وان بين هذه القضايا قضية مشروع المنبوخ التي حكم بها لمصلحة حبيب بك عقل منذ بضع سنوات وهي لا تزال نائمة في الملفات تنتظر الفرج القريب ... فماذا عساه ان يقول في ذلك العهد ؟!

ولو عرف ان مئات الاحكام ضدّ الزلم والمحاسيب كان العهد « السعيد » يامر بغض الطرف عنها ، وعدم ملاحقة اصحابها اكراماً للحزبية العمياء ، واشباعا للضغائن المتغلغلة في الصدور . فماذا عساه ان يقول ؟

قضية الموسم ..

ولعل اطرف قضايا الموسم تلك القضية التي لا تزال حتى اليوم على كل شفة ولسان . عنينا بها قضية القاء القنبلة على منزل الشيخ

سليم الخوري في فرن الشباك ، وقد فضحها امام مجلس النواب دولة رئيس الوزارة السابق سامي بك الصلح ، وازاح عن اسرارها ذلك الستار الكثيف ...

وقد وقعنا على صورة زنكوغرافية لملف التحقيق يستفاد منها بان الذين القوا القنبلة هم جوزف عيسى الخوري ، وجوزف ايوب ، ومحمد الشقور ، وانه لدى التحقيق في امرهم تبين من مصدر سرّي بان جوزف ايوب مختبىء في منزل بيار خوري قنصل موناكو في لبنان ، وجوزف عيسى الخوري مختبىء في منزل آخر معروف في العاصمة .

وقد ختم مأمور التحري السيد محمد زيعور الملحق بالمحقق العدلي السيد جورج عيد تحقيقه كما يلي :

لدى اطلاع حضرة المحقق العدلي الاستاذ جورج عيد عمّا تمّ باستجواب المتهمين ركاب سيارة الفورد ذات الرقم ٣٦١٩ مجدداً ، وعن مكان وجود المتهمين الثلاثة الفارين أمر حضرته بايقاف التحقيق فوراً عند هذا الحدّ واخلاء سبيلهم على الفور ...

هذا ملخّص قضية القنبلة المذكورة . وقد نقلناه عن نسخة زنكوغرافية مأخوذة عن اوراق التحقيق . ولو كان مجال الكلام فسيحاً لنقلنا الى القراء تفاصيل قضية محقان المظلوم ، ثم قضية القاء

القنبلة على مجلس النواب ، وغيرهما من القضايا الكثيرة التي مرّت امام القضاء وانتهت كما انتهت اليها قضية قنبلة فرن الشباك ... ولكننا اكتفينا الآن بهذه «المسطرة» من الاحكام التي كانت تصدر في العهد «السعيد» ... على سبيل الانتقام والتشفي من بعض المعارضين ، وهي كافية كما نعتقد لتقديم البرهان القاطع على فضيلة ذلك العهد العجيب !! .

وهذه ايضاً ...

في العام ١٩٥٠ مضى الشيخ خليل الخوري النجل الاكبر لرئيس الجمهورية السابق الى التاجر المعروف في شارع ويغان السيد فؤاد الوف – مالك طراد – وطلب منه ان «يقرضه» مبلغ مئة ليرة انكليزية ذهباً . واشترط عليه ان تكون «مار كة خيال». وفي حالة سليمة ممتازة ، على ان يعيدها اليه بعد مرور ٤٨ ساعة !.

ونزل التاجر على رغبة خليل ، واشترى له المئة الصفراء ... من السوق السوداء ، وسلّمها اليه ... وبات ينتظر رجوعها بالسلامة ، ولكن عبثاً ، فقد مرّ اليوم واليومان والشهر والسنة والمئة ليرة الانكليزية لم تعد الى صاحبها ، فلحق به يطالبه بها ولكن بدون جدوى ايضاً ...

وخطر له ان يقاضيه امام المحاكم ولكنه لم «يجرؤ» على هذه

المجازفة ... فقرّر ان يبلع الموسى ويسكت . ومنذ بضعة ايام ، عندما انهار العهد «المبارك» اسرع التاجر الى القضاء يقيم الدعوى على خليل ، ويقيم وكيلاً عنه الاستاذ فؤاد رزق المحامي . وهذا بعض ما جاء في اوراق الدعوى :

المدعي — فؤاد الوف . تاجر في شارع ويغان . ملك طراد

المدعى عليه — خليل بشاره الخوري .

يطلب لي من المدعى عليه خليل بشاره الخوري مبلغ من المال قدره مئة ليرة انكليزية ذهباً تعهد المدعى عليه باعادتهـا في ظرف يومين . وبالرغم من مطالباتي المتعدّدة له ظل يماطل ويسوّف الى ان تمنّع اخيراً عن الدفع ...

ولما كان المدعى عليه قد اخذا مني هذا المبلغ بطريقة تشكل جريمة تقع تحت طائلة قانون العقوبات . ولما كنت قـد رغبت في اقامـــة دعوى جزائية عليه ولكن الاشخاص الذين حضروا وشاهدوا دفع المبلغ للمدعى عليه ربما تهرّبوا من تأدية الشهادة او انكروا وقائع القضية لذلك فضّلت ان اتقدّم بدعوى مدنية مالية بحق المدعى عليه .. الخ . الخ ..

في التربية الوطنية

وننتقل بالقارىء الان الى وزارة التربية الوطنية .

الى الوزارة التي تمثل الادب والعلم في ارقى امة في الشرق ، لنحدث القارىء قليلاً عما جرى فيها من اعمال شاذة في ظل " العهد « السعيد » ...

منذ بضع سنوات اراد العهد ان يكافىء النواب والزعماء الذين سندوه بمواقفهم « الوطنية المشرفة » وان يبرهن لهم عن اخلاصه ، وعن مدى استعداده لاشباع نهمهم فماذا عمل ؟ .

لقد اطلق ايديهم في وزارة التربية يعينون فيها من يشاؤون من المعلمين في المدارس القروية . فاذا بتلك المدارس تزخر بالاميين الذين يجهلون الكتابة والقراءة . واذا بفئة منهم تصدر الاوامر بتعيينهم « اساتذة » في المدارس بدون ان تكون هناك مدارس لان المهم في الموضوع هو ان يتقاضوا المعاش في آخر الشهر ، لا اكثر ولا اقل !

ويروى ان احد «الاساتذة» الاميين ذهب ذات يوم الى زعيمه يقول له ان الوزير الاستاذ لحود اوجب على جميع المعلمين الذين لا يحملون شهادات علمية من المدارس ان يخضعوا للامتحان ... فكيف السبيل الى التهرب من الفحص محافظة على الوظيفة ؟ .

وبعد ان دقق الزعيم في موضوع الشكوى قال « للاستاذ »: ساسعى مع الوزير لحود لتعيينك عضواً في اللجنة الفاحصة ...

فهدىء روعك ، ولا تخف ! ..

وحتى هذا التاريخ لا يزال في لبنان معلمون يتناولون مرتباتهم من وزارة التربية بدون ان يعملوا عملاً ، كما انه لا يزال هناك معلمون اخرون يجهلون الكتابة والقراءة .. بفضل عبقرية العهد ، ودهائه المفرط في ادارة شؤون البلاد ! .

مع الشاعر بشاره الخوري

منذ بضع سنوات ارادت وزارة التربية الوطنية في لبنان ان تكرم الشاعر الاكبر الاستاذ بشاره الخوري ، بعد ان اوقف العهد جريدته ، وانزل به اضراراً جسيمة .

وكيف يكون تكريم الشاعر ؟ .

عرف الوزير الدكتور رئيف ابي اللمع ان الشاعر الكبير يتحفز لطبع ديوانه الشعري الذي ينتظره العالم العربي بفارغ الصبر ، فدعاه الى مقابلته ، واعرب له عن رغبته في طبع الديوان على حساب وزارة التربية . وبعد مناقشة طويلة نزل الشاعر على رغبة الوزير .

وما كاد ينصرف الى تبويب الديوان ، استعداداً للطبع حتى فوجىء باقتراح موّجه اليه من قبل العهد «السعيد» يقضي بنشر صورة رئيس الجمهورية السابق في صدر الديوان .. ولما رفض الشاعر

الافتراح ، تنكر له العهد «المبارك» فتراجع عن طبع الديوان ..

مفتاح السر ...

اما مفتاح السّر في العهد « السعيد » فكان المال .

وهل يستطيع الانسان ان يأتي عملا بـــدون مال . فعلام الدهشة ؟!

المال هو الذي يسهل المعاملات في الدوائر . وهـو الذي ينشىء الشركات في كل مكان !

وهو الذي « يحيي » المشاريع العمرانية في البلاد . وهو الذي يتخذى القوانين والشرائع ، ويبسط نفوذه على كل مكابر !

وهو الذي يستعبد الزلم ، ويقيمهم على خدمة العهد ، ويجعلهم من اهل المزرعة ؟.

وبفضل المال مدّ العهد شبكته الى كل مكان ، وبث العيون في كل منطقة ، وتحت كل صخرة من صخور لبنـان . ســل المخصصات السرية عن مهمتها في العهد تنبئك بالحقيقة الناصعة . سل تلك المخصصات الطائلة الى اين كانت تذهب ، وفي جيوب من كانت تستقر ؟!

لقد كانت تلك الاموال توزع على بعض المختارين في المناطق والقرى والاحياء لكي يسهروا على سلامة العهد ، وينقلوا اليه كل

ما يقال فيه من سوء ... وكل ما يحكى عنه من « كلام فارغ » فاذا بالتقارير تترى على اسياد العهد من تلك الجماعات ، مشحونة بالافتراء ، والكذب ، والرياء !! ..

واذا باللائحة السوداء تزخر باسماء الكافرين ، المتآمرين على « فضائل » العهد ... واذا بالوشايات تمثل دورها العنيف في المعركة القائمة بين الاحرار ، واهل المزرعة ! .

واذا بالرقم ، رقم المخصصات السرية يرتفع الى المائتي الف ليرة في السنة ، لكي يقوى على صدى الحملات ، والقاء الضربات ، وتوسيع شبكة الاستعلامات في كل مكان . واذا بنا امام مرحلة جديدة من مراحل الدفاع عن سلامة ذلك العهد « الزاهر » ...

المال ، المال ..

وانطلق العهد يبحث عن موارد الرزق ...

يبحث عن المال اينما كان ، لكي يلتهمه باشداقه الغليظة . فاين المال يا اولاد الحلال ؟

هذا البنك السوري يطمع بشترى قطعة ارض من بلدية بيروت في شارع فخر الدين ، فما يمنع من جرّ المحافظ « الممتاز » الى عقد الصفقة ؟

وهل يتردد « سعادة » المحافظ في تأدية « الرسالة الكريمة » على

اكمل وجه الى اسياد العهد ؟ .

ان « سعادة » المحافظ اطوع للعهد من البنان . فهو قد اكل من خبزه ، فعليه ان يضرب بسيفه .

وعرض الموضوع على « سعادته » فلم يتردد لحظة في القبول . ومتى كان المحافظ ، وغير المحافظ يستطيع ان « يهر » في وجه العهد « السعيد . وان يتردد في عمل « الواجب »؟

وبجرة قلم وافق « سعادة » المحافظ الممتاز على عقد الصفقة مع البنك السوري . وكان العهد همزة الوصل ، بل صلة الخير بين الفريقين المتعاقدين ، وكان له القسم الافضل من قرص الحلوى والنصيب الاكبر منه ..

وهكذا انتقلت ارض البلدية الى ملكية البنك السوري بطرفة عين . وكانت الصفقة موفقة كل التوفيق .. وخرج منها البنك السوري شاكراً حامداً ، كما خرج منها « سعادة » المحافظ ممتناً باسماً ، كما خرج منها العهد مفعم الجيب ، ممتلىء النشاط ...

وانطوى العام ١٩٥١ على هذه الصفقة ، كما انطوى على صفقات كثيرة مثلها لم يعرف منها الشعب شيئاً ، لان الشعب لم تكن له اية علاقة في موضوع المزرعة ... فحسبه ان يؤمن

ببطولة العهد السعيد بدون ان يمد اصبعه الى الجرح ..

ولم يكتف العهد «الميمون» ومن حوله الزلم الاشاوس ، ومن ورائه اهل البطانة بالصفقات البسيطة من هذا النوع ، بل مدّ اصابعه الى كثير من الشؤون التي تخضع لسيطرة البلدية ، فحشر عدداً من الزلم في الدوائر ، يقبضون المعاشـــات ، ولا يعملون عملاً ...

ووزع الاموال السرّية على المحاسيب بدون حساب ، وجعل من بلدية بيروت ملجأ لكل ملهوف . فاذا بتلك الدوائر تغصّ بالمحظوظين من الزلم والاعوان ، الذين صفقوا وهللوا وسجدوا امام الاصنام . واذا بموازنة البلدية تضرب رقماً قياساً عالمياً في السخاء والجود ...

...و مدينة الملاهي ؟

وامتدت ايدي النهمين من اهل البطانة في عهد الطغيان الى مدينة الملاهي التي انشأها علي حسن على شاطىء المنارة ...

مسكين علي حسن !.

ماذا جنى المسكين لكي تنشب فيه اظافر العهد «السعيد» ؟ ..

انه لم يكن عضواً في الكتلة الوطنية . ولا ركناً من اركان الجبهة الاشتراكية فلماذا تمتد الى جيوبه الايدى الاثيمة ، وتنتزع

منها المال بلا هوادة ؟ .

وللسيد علي حسن حكاية طريفة مع «زلم» العهد ، لا بدّ من اثباتها في هذا الكتاب ...

اطل الرجل على بيروت منذ بضعة اشهر يبحث عن مكان يعرض فيه العابه على الجمهور . وبعد بحث طويل وجد المكان ، ولكنه اصطدم بالرخصة ... رخصة العمل ، فهو لايدري المسكين ان كل مشروع مثمر في لبنان لا يكتب له النجاح الا اذا حل صاحب العمل كيسه ، واشبع نهم العصابة ؟!

ومن انى له ان يدرك هذا السر العجيب ، وهو غريب عن لبنان ، وغريب عن اورشليم ايضاً ...

ان الرجل عاش في مصر ، في ظل فاروق .. في ظل الطغيان ، والفوضى ، والشهوة ، ولكنه مع ذلك لم يتصوّر بان العهد في لبنان يحجب عنه رخصة العمل الا اذا دفع ثمنها مقدماً . من لحم الحي ؟!

ولجأ الى الكثيرين من اصحاب النفوذ للحصول على الرخصة فكانوا كلهم يقولون له : لا تتعب نفسك بما لا فائدة منه . دونك السيد بيار كالان ، صهر الرئيس السابق ، فاذاقدرت ان «تتفاهم» معه كان خيراً ، والا فلا بد لك من نقل معداتك ثانية الى مصر ..

واضطر الرجل اذ ذاك ان ينصاع لعمل «الواجب» وان

يخضع لشرعة العهد «الزاهر» فعلّ كيسه ودفع ... وعلى الاثر سلمت اليه الرخصة بدون اي عذاب ...

وقد قيل ان «الرسم» الذي تقاضاه السيد كالان من المسكين علي حسن هو خمسة وعشرون الف ليرة لبنانية ... ولا ندري اذا كانت للسيد كالان اسهم ايضاً في مدينة الملاهي ! ..

هذا ما جرى لمدينة الملاهي مع اهل البطانة. وقد اصبحت هذه المأساة حديث القوم في البيوت والمجتمعات ، لانها تجاوزت الجدران ، وتغلغلت في جميع طبقات المجتمع ! ..

... شركة البويك

ولم تسلم الشركات ، والوكالات الوطنية من اشداق العهد ، فهي قد كانت الضحية الاولى . فبعد ان فرض العهد على شركات السيارات في لبنان ان تؤدي له رسماً مقطوعاً قدره مئة ليرة لبنانية عن كل سيارة تطلّ برأسها على مرفأ بيروت ، كما ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب ، مدّ اصبعه الى شركة البويك التي يقوم على وكالتها في لبنان السيد الهبري .

وماذا فعل مع شركة البويك ؟ .

لقد شقّ عليه ان ينعم غيره بارباحها بدون ان تكون له منها حصة الاسد. فاتصل بمكتبها الرئيسي في اميركا واقترح عليه ان ينزع وكالته

من الهبري ، ويسلمها الى شخص اخر من زلمـــه . وقد تمّ له ما اراد وانتزعت الشركة من وكيلها القديم بدون سبب لكي يتمتع بها العهد بنفسه باسم مستعار . . .

وقد قبل ان وكالة البويك اليوم في بيروت يشرف عـــلى مقدراتها ، ويجتني ارباحها الوجهاء السادة : خليل وميشال وبيـار الخوري . . .

وهكذا يكون زلم العهد قد ادّوا الى الامة اروع الرسالات واسدوا اليها اجل الخدمات !.

وتكفي هذه « المساطر » التي قدمناها في هـذا الكتاب دليلا قاطعاً على العقلية التجارية النهمة التي تخبطت فيها الامة زهاء تسع سنوات ، على التوالي . .

واندية القمار . .

وهل تعتقد يا اخي القارىء ان اندية القمار سلمت من اشداق العهد « السعيد » ؟!

وهل تظن ان الايدي الشرهة لم تمتد الى جيوب المقامرين ، وتنتزع منها المال باسم العهد « الزاهر » ؟

وهل تظن ان عهد الطغيان كان يطلق حرية المقـــامرة في المدينة والمصائف اكراماً لوجه الله ، وخدمة لموسم الاصطياف ؟

اذا كنت تعتقد بذلك فانت على ضلال مبين !

ان زلم العهد « المبارك » كانوا يسيطرون على اندية المقامرة سيطرة تامة .. فهم الذين كانوا يبيحون الميسر ، وهم الذين كانوا يمنعونه ، وفقاً للظروف والمساومات !

لقد كان سماسرة العهد يديرون عمليات المقامرة ، كما كانوا يديرون عمليات تهريب الحشيش والذهب بدقة تامة ، ووعي مدهش ... ففي احدى السنوات دفع اصحاب اندية القمار الى احد كبار سماسرة العهد ١٥٠ الف ليرة لبنانية لقاء اطلاق حرية الميسر ، ولولا ذلك لما فتحت ابواب الاندية على مصاريعها في وجوه المقامرين ... ولما تمتعت المصائف اللبنانية بتلك السمعة « العطرة » طوال ذلك الصيف ...

وقد روي لنا احد العارفين بخفايا المقامرة بان بطانة العهد جنت من وراء موائد الروليت ارباحاً طائلة تقدر بمئات الالوف من الليرات ، بينما الناس يئنون ويتظلمون من وطأة الازمة . وبينما الشبان ينطلقون على غير هدى في الشوارع بدون عمل !

وكراسي الحكم

وامتدت الايدي العاتية النهمة الى المناصب والوظائف والمهمات الكبرى تساوم عليها ، وتعرضها كالسلع على الاشخاص ، في السوق

السوداء ... فالاريكة الوزارية تساوي كذا .. من الالوف .. والنيابة تساوي كذا !

فالسعر محدود ..

والدين ممنوع . والعتب مرفوع !

ومن لا يغتنم الفرصة يسبقه القطار ، ويبقى مطروحاً على قارعة الطريق .. وهكذا رأينا النيابات تطرح « بالمزاد العلني » .. فالرسم محدود لكل من يطمع بدخول القائمة الموالية ...

ولنسأل نائب كسروان السيد جورج كرم مثلا ، كم كلفته نيابته من المال . ولمن كان يدفع تلك المبالغ المتكررة ؟

ثم لماذا لا نسأل النائب روفايل لحود كم دفع من المال لسماسرة المعركة ، وكم ضحى في جريدة « نداء الوطن » من مبالغ . ثم عندما فقد الرجل ثروته كيف تنكر له العهد ، وكشر في وجهه الرفاق ؟ .

وهكذا كانت الكراسي الوزارية تسند الى بعض الاشخاص لقاء « رسوم » معينه يدفع المرشح نصفها مقدماً ، والنصف الاخر عند استلام الشغل ... وقد اكد لنا المطلعون على تلك المساومات بان احد الوزراء كلفه الوصول الى الكرسي مئة الف ليرة ، وان الاخر كلفته ٧٥ الف ، وان شخصاً ثالثاً كان موعوداً « بكرسي »

في الوزارة لقاء ٥٠ الف ليرة ، و لكن انهيار ذلك العهد « وفرّ » عليه المبلغ .. وحرمه لذة الركوب !! .

احتكار صيد الاسماك

وانفتح امام سماسرة العهد « المبارك » منذ سنتين باب جديد للرزق ، يدرّ عليهم ارباحاً طائلة . هو مشروع احتكار الاسماك !

لقد شق على اهل البطانة ان يعيش صياد السمك طليقاً على شاطىء البحر ، او على حافة النهر ، يكسب قوته في مأمن من مطامعهم الشديدة ، فمدّوا اليه شباكهم الطويلة يصطادونه بنهم ، ويمتصونه بشراهة ما بعدها شراهة ..

وقامت قيامة الصحف ضد ذلك الاحتكار ، ووثب صيادو السمك من كل صوب يعربدون ، ويحتجون ، ويضجون ، فاضطر ابطال المشروع ان يتريثوا في اقتحام الموضوع الى ان يخلو لهم الجوّ ، وتتمهد امامهم الطريق في غفلة من اصحاب العلاقة . وهكذا طوي المشروع موقتاً ...

ومشروع احتكار السمك هذا اتفق على حبك خيوطه سماسرة العهد « السعيد » مع شركة يونانية لصيد الاسماك . وقد بقي اعضاء تلك الشركة حتى منتصف الشهر المنصرم يسعون لتحقيق مشروعهم المجرم بواسطة سماسرة العهد . ولكن الصدمة كانت شديده على

نفوسهم ،عندما انتهى اليهم نبأ انهيار ذلك العهد ، واستقالة الشيخ بشاره الخوري من الرئاسة !

وهكذا سلم صيادو السمك من تلك الشبكة التي كانت معدّة لاصطيادهم ...

واصبح في وسعهم ان يطمئنوا الى مستقبلهم ، وان يلقوا شباكهم في اليم على هواهم !

وان يبقوا اسياد الشواطىء اللبنانية ، يكسبون قوتهم بعرق جبينهم ، لا ينازعهم به منازع !

مثل في الذكاء ...

وبقي الزلم واهل البطانة حتى هذا التاريخ يتغنّون «بفضائل» العهد ، ويسبحون بحمده ، ويتغزّلون بعبقرية سيدّه ! .

وبقيت الصحف المأجورة ، تغمس اقلامها في جراحات الشعب ، لتدبج المقالات ، وتعقد السجع الرنان في مدح اسياد العهـــد ، والاطراء على مواقفهم الشريفة ، والتحدث عن فضائلهم وحسناتهم التي لا يدركها طرف ، ولا يلم بها خاطر ...

واطلّت على الامة فضائح المطار . مطار بيروت الدولي . وتكلمت الارقام عن عهد «النزاهة والعفة» ببلاغة وجرأة ...

وانتفضت رمال المطار تنشر على الملأ فضائح العهد ،واختلجت

اعمدة خلده تحت وطأة المصاب ... ولم يبق في الناس واحد لم تعبق في انفه رائحة الفضيحة . ولكن ضمير العهد بقي مرتاحاً الى الفاجعة ...

ومن اين للعهد «السعيد» ان يستلهم الغيب ، ويدرك السرّ الرهيب بان شمس الشمس التحرر بدأت تطلّ من وراء جبـــل الارز ؟! .

لقد بقي المؤمنون بخلود العهد حتى الساعات الاخيرة يحدثونك عن نبوغهم ، وعن « شطارتهم » في الحكم ...

ولعلّ القارىء الكريم لم يسمع بهذه الاضحوكة :

قيل ان السيدة عقيلة الشيخ بشاره الخوري كانت تتوسط ذات مرة حلقة من كرام السيدات . وكان الحديث يـــدور حول « الاولاد الشاطرين ... الاذكياء » فتنهدت ام خليل وقالت .

« ولادي كلهم شاطرين ... لكن اشطر واحدفيهم خليل »..

وارادت احدى السيدات ان تعرف شيئاً عن «شطارة» خليل فقالت :

– وباي شيء يمتاز خليل عن اخويه ؟ .

اجابت : يمتاز بذكائه ... يقبرني انشاالله ، بظرف خمس ست سنين عمل ٤٠ مليون ليرة ...

علامات استفهام

نزلت بالامة اللبنانية منذ اشهر غير بعيدة نكبة مالية لا يزال حديثها حتى اليوم ملء الافواه !

تلك النكبة الشديدة هي قضية تزوير النقد اللبناني من فئة المئة ليرة .

ولقد استطاع المسؤولون في العهد « السعيد » ان يدلّونا على الضحية فقط . ان يشيروا باصابعهم الى الخسائر التي نزلت بالجيوب وان يسكتوا عن الفاعل !

الجريمة وقعت ؛ فمن هو المجرم ؟

والفعل وقع ؛ فمن هو الفاعل ؟

ايكون فعل بدون فاعل . ايكون تزوير بدون مزوّر . فمن هو ذلك المزوّر الوقح ؟

واين وقع التزوير ، و كيف ؟

ومن استفاد من الملايين المزورة في النتيجة ؟

اين عبقرية العهد لا تكشف لنـــا القناع عن مزوري النقد اللبناني ؟

ان الامة تريد ان تتعرف الى وجوه أولئك الابطـال الذين زوّروا النقد ، فهل عجز رجال القضاء ، والامن العام عن كشف الجريمة ؟

لا يهمّ الرأي العام ان يقبض على المزوّر ، او ان يبقى حراً طليقاً وراء الحـــدود ، بقدر ما يهمه ان يتعرّف الى اسمه ، وشهرته ... ومحل ولادته !!

فلماذا لم يدلنا العهد على ذلك المجرم ؟

ان هناك اشاعات كثيرة تحوم حول قضية تزوير النقد كان يجب على عباقرة العهد ان يجلوها للرأي العام ، وان يضعوا النقطة على الحرف تبريراً للذمة ، وابتعاداً عن وجع الرأس !!

ولكن العهد لم يجل لنا الحقيقة الغامضة . فهل يجلوها لنـــا العهد الجديد ؟

علامات تعجب

يقولون ... وما اكثر ما يقولون في هذه الايام !

يقولون ان نصف موازنة العهد « السعيد » استقرت في بعض الجيوب النهمة . فهل هذا صحيح ؟

ويقولون ان الثروات التي التهمتها الاشداق الغليظة تزيد على الاربعماية مليون ليرة . فهل هذا صحيح ايضاً ؟

ويقولون ان ملايين الليرات طارت من شركة الترابة بين السماسرة والزلم واهل البطانة . فهل هذا ايضاً صحيح ؟

ويقولون ان هناك « بعض » الملايين تلاشت ايضاً بين جدران

وزارة البرق والبريد . فهل هذا صحيح ؟

ان كل ما نعلم من هـذا الموضوع ان اكلاف دار البرق والبريد كانت في الماضي مقدرة بمليون وستماية الف ليرة لبنانية ، ولكن الرقم قفز اخيراً الى الاربعة ملايين و ٨٠٠ الف ليرة ... فهل يعنى ذلك ان الفرق بـــين المبلغين استقر في جيب العهد ، وبطانة العهد !.

ويقولون ان مجموع قرش الفقير بلغ الثمانية عشر مليوناً . فاين وزعت تلك الملايين . ولمن اعطيت . هل قدم العهد حسابا بها الى الامة ؟

ويقولون ان ملايين اليانصيب الوطني تبخرت ، واستحالت الى مكافئات وانعامات ، استقرت في بعض الجيوب الجشعة . فهل هذا صحيح ؟

وهكذا يقال عن ملايين صفقات الطحين . وفي مقدمتها طحين الارجنتين !!

وهل نسي القارىء صفقة الارز المسوسة التي جلبها انيس الاشقر سنة ١٩٤٧ وسلمها للحكومة بسعر ستين غرشاً للكيلو الواحـد ، فبيع الكيلو منها للأهلين بسعر مئة وعشرين غرشا ، بعـد ان تقاسم سماسرة العهد « فرق السعر » فيما بينهم ، وقد بلغ مئات الالوف من الليرات ؟ !

وصفقات الادوية والعقاقير التي احتكرها الانسباء والاقرباء « والمخلصون » للعهد « السعيد » ... من يدري كيف وزعت ارباحها ؟!

وصفقات الحشيش – حشيش الكيف – التي قفزت ارباحها على الملايين ، في جيوب من استنقرت ؟

الم يقبض سماسرة العهد من كبار تجار الحشيش مئات الالوف من الليرات لقاء اتلاف الحشيش المزروع ، طمعاً بارتفاع الاسعار وزيادة الثروات في المصارف والبنوك ؟

ترى من هو المسؤول عن تلك الصفقات كلها التي ادّت الى اضعاف الامة ، وامتصاص دمها ، واحتكار ثروتها بين فئة خاصة من الاهل والانسباء ؟

اذا كان العهد « المبارك » لا يريد ان يكون مسؤولاً عن تلك الويلات ، ولا يريد ان يقدم حساباً عن تلك الصفقات ، فمن يحمل عنه تلك المسؤوليات الجسام يا ترى ؟

اننا لعلى ثقة تامة بان حكومة العهد الجديد تسرع في تطبيق مشروع « من اين لك هذا ... يا هذا » اذا لم يكن ارضاء للشعب فليكن ، على الاقل ، ارضاء للضمير والوجدان !

طغيان النفوذ

وامتد الطغيان الى جميع دوائر الحكومة تقريباً

ففي وزارة الانباء كما في وزارة الداخلية ، كما في دوائر الامن العام والشرطة والدرك والاذاعة والدوائر العقارية فوضي لم يسبق لها مثيل في جميع العهود التي مرّ بها لبنان ..

اما وزارة الانباء ، او اذا شئت وزارة الاذاعة اللبنانية ، فقد باتت بكل تأكيد ملجأ « للمقاطيع » الذين حشرتهم الوساطات في الدوائر حشراً متقنا ارضاء لبعض الشهوات والاقطاعيات واكراما لاعين بعض الزعماء الذين تعاونوا مع العهد على « شرشحة » الوظيفة وتبذير درهم المكلف بدون شفقة !

ولعلّ من المفيد ان تعرف يا قارئي الكريم ان مصلحة الاذاعة في لبنان توزع انعاماتها على المحظوظين كما كانت بالات الغزل ، وصفقات الكوتا وقرش الفقير توزع على الزلم في زمن الحرب . .

فالاعلانات الرسمية في وزارة الانباء لا تعطى الا لانصار العهد « السعيد » من ارباب الصحف !

والاعتمادات المالية لا تتدفق الا على اهل البطانة من حملة الاقلام . ويكفيك ان تعلم ان بدل الاشتراكات للصحيفة الموالية

كان محدداً بثلاثماية ليرة لبنانية ... واما الصحف المعارضة فكانت وزارة الانباء تضن عليها ببدل الاشتراك العادي . وقد ادرك وزير المال الاستاذ اميل لحود في الاونة الاخيرة هذا الموضوع فاوقف بدلات الاشتراك كلها التي تتجاوز الخمس والعشرين ليرة في السنة .

واما مصلحة الاذاعة — الله الله على هذه المصلحة الزاهرة — فقد باتت وقفا على الفئة المحظوظة من الفنانين والفنانات.. ولو كنت تدري ان في مصلحة الاذاعة اشخاصا يتنارلون المعاشات الشهرية بدون ان يأتوا عملا . وقد اخبرنا احد الثقاة بان هناك موظفاً ملحقاً بالاذاعة يقبض مرتبه الشهري حوالة بريدية ... فهو لا يأتي مطلقا الى عمله ..

وفي مصلحة الاذاعة عدد من الفنانين لا يؤدون واجبا ، وهم مع ذلك يقبضون معاشاتهم بكل طمأنينة ، وراحة بال ...

وفي مصلحة الاذاعة يخشع الفن امام زعامات الاقطاعيين ... فانت قلما ترى فيها موظفا خارجاً عن نطاق المحسوبية في العهد « السعيد »

واما مصلحة الانباء فيكفي ان تعلم انها عطلت مفعول قانون المطبوعات الذي وافق عليه مجلس النواب بالاجماع ، ومنعت

الصحافيين من اصدار الصحف بطريقة « ديكتاتورية » كيفية بدون ان يوجه اليها العهد « السعيد » سؤالاً عن سبب شذوذها ، وتنطحها للقوانين المرعية الاجراء .. وبدون ان يخشى المسؤولون عن وزارة الانباء مغبة ذلك الاستبداد ، وعاقبة الاستهتار بالقوانين !

في الشرطة والدرك

ولم يكن العهد احسن حالا مع رجال الشرطة والدرك ... فهو قد اصابهم برشاش من شذوذه ، قضى به على الكفاءات !

فالمفوض الشرطي الذي يخرج عن طاعة العهد يبعد عن وظيفته ، ويعين مكانه واحد من الانصار الخاضعين لمشيئة السلطان وقد رأينا الكثيرين من المفوضين وضباط الدرك ينقلون من وظائفهم تأديباً لهم لانهم اوقفوا متهماً مثلا يخص بطانة العهد ... او لأنهم لم يسخروا ضمائرهم لزلم العهد .

فاذا بدائرتي الشرطة والدرك تصبحان آلة طيعة في ايدي النافذين من رجال السلطة ، وتضيع هيبة القانون ، ويصبح الشرطي والدركي تحت رحمة الحزبية الغاشمة ، ويصبح الزلم والقبضيات اسياد الموقف في العهد « الزاهر » ...

ثم اننا لا ننسى ان بين رجال الشرطة والدرك اشخاصاً اصبحوا

من ذوي الثروة ، مع العلم بان مرتب الشرطي او الدركي لا يكفيه لسد الرمق في الحياة . فمن اين لهم هذا .. يا ترى ؟

ان سياسة العهد « المبارك » افسدت الضمائر في كل دائرة ، حتى في دائرتي الشرطة الدرك اللتين يفرض فيهما ان تكونا بعيدتين عن السياسة ، وعن الحزبية لتستطيعا ان توءمنا العدل للأهلين ، وان تنفذا اوامر السلطة بروح الاخلاص والتجرد والنزاهة !

قصة ومغزاها ...

روى لنا هذه القصة رجل كبير من رجال السياسة في لبنان يبرهن لنا بواسطتها على ما كانت تنطوي عليه نفس العهد من ضغائن شديدة . قال :

في ذات يوم قام احد وجهاء لبنان بزيارة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية السابق في منزله يطلب منه التوسط لاحقاق الحق في احدى القضايا الهامة . وربما كان ذلك الوجيه الكبير الاستاذ شارل قرم ..

وسمح له بمقابلة الرئيس في ديوانه فحيّاه ، ثم جلس اليه وبسط له القضية . والاستاذ شارل قرم رفيق قديم للشيخ بشاره منذ عهد الدراسة ، في كلية الاباء اليسوعيين . فالكلفة كانت مرفوعة اذاً بينهما .

وبعد ان انتهى الاستاذ قرم من بث شكواه التفت اليه الرئيس السابق « وفرك يديه » حسب العادة ، وابتسم ..

وقال له الاستاذ القرم : ماذا ... يا حضرة الرئيس ؟ .

اجاب : انت تعرف يا شارل ان بيننا صداقة قديمة يعود تاريخها الى عهد التلمذة . ولذلك فانا مستعدّ ان اخدمك في القضية ، مع العلم ...

ثم عاد « يفرك يديه » ..

وقال الاستاذ القرم : خير ان شاالله . هل هناك ما يدعو الى التردد ؟.

قال الرئيس السابق ، متابعاً حديثه : مع العلم بانك لم تكن معي حسن النية ، في الماضي ...

فدهش الاستاذ القرم وقال : ومتى كان ذلك. انا رجل اديب ، لا اتعاطى السياسة ، ولم يسبق لي على الاطلاق ان اسأت النية الى احد ، لا لك ولا لغيرك من الناس .

فابتسم الرئيس السابق وقال : بلى .. اذكر جيداً يا شارل انك زاحمتني ذات مرة على رئاسة الاخوية .. عندما كنا في المدرسة ! .

ومع ذلك ... فساسعى الى مساعدتك في القضية . تحت امرك يا شارل !! .

وخرج الاستاذ شارل قرم من ديوان الرئاسة ، وهو يقدح زناد فكرته ، ويستلهم الماضي البعيد لعله يتذكر شيئاً من تفاصيل تلك المعركة الانتخابية الشديدة التي نشبت منذ اربعين عاماً واكثر بينه وبين الرجل .. وهو يهز برأسه ، ويضحك ..

ويبدو الرئيس السابق في الوقت نفسه على تلك الذاكرة الغريبة التي استطاعت ان تسجل عليه تلك «المخالفة الحزبية» بعد مرور نصف قرن عليها .

اردنا ان نسجل هذا الحادث في الكتاب لنبرهن للملأ على قوة تلك الذاكرة عند الرئيس السابق ، وعلى ان « مبته لا يموت... » كما يقولون في الامثال العامة ! .

وعلى ان الحزبية كانت بيت القصيد في عهده «الزاهر» ..

الرئيس الخالد اميل اده الذي اطلق اول رصاصة في وجه العهد

سياسة الوعود

عندما اشتدت سواعد المعارضين .

وبدأ احرار لبنان يتنادون الى عقـــد المؤتمرات ، واذاعة البيانات ، ونشر الفضائح على الملأ تخلصاً من الفوضى والطغيان ، وبدأ الشارع يثور في وجه العهد ، واحس اهل البطانة بان اجلهم قد اصبح امراً مفروغاً منه ، اذا لم يكن اليوم فغداً ، واذا لم يكن غداً فبعد غد .. راح العهد «الميمون» ينهج لنفسه سياسة جديدة ..

راح يصافح من بعيد بعض زعماء المعارضة ، الطامحين الى رئاسة الجمهورية ويغدق عليهم الوعود جزافاً ..

انت خليفتي في رئاسة الجمهورية ...

انت مرشحي الوحيد للرئاسة الاولى ..

انت وارث عهدي .. و « ساسجل » لك ملكية العرش منذ اليوم ! .

انت اخي ، حبيب قلبي .. من احق منك بهذه الرئاسة ؟

وقد جازت هذه الوعود على فريق من المرشحين ، وهزأ بها الفريق الاخر ، لانه كان يعرف تماماً انها عملة مزيفة .

وقد رأينا بعض الموعودين بالرئاسة الاولى ينكمشون على

انفسهم ، وينزوون في بيوتهم ، ويحتجبون عن انظـــار الناس بانتظار ساعة الفرج .. وهكذا استطاع الرئيس السابق ان يبعد عن ميدان القتال عدداً من الزعماء . ولكنه لم يستطع ان يؤثر على المناضلين الاحرار بشيء على الاطلاق .

واستمرّت المعركة بشدة تنشد رأس الرئيس ، دون سواه من الرؤوس المطلة من شباك العهد ..

« جددلو » ..

وازداد النضال عنفاً

وتنفس المعارضون الصعداء بعد ان انهارت معنويات العد ، واصبح الشعب معارضاً كله ، على بكرة ابيه ..

ووثب زعماء الامة وثبتهم الاخيرة ضدّ العهـد . وانتفضت الصحافة تسند تلك الوثبة المباركة ، وتخوض المعركة الى جانبهـا بكل ما تملك من قوى . ولكن العهد الذي لا يقيم لانتفاضة الامة اي حساب . ولا يرعى للصحافة حرمة ، كشر عن انيابه في وجه المناضلين الاحرار ، وكانت الصحافة في هذه الغمرة الشديـــدة كبش المحرقة . واذا بكتابها ومحرّريها يرسلون الى السجون . واذا بدواليب المطابع تشلّ حركتهـا عن العمل ، واذا بالعمال يشرّدون في الشوارع .

واذا بجماعة العهد يتنطحون لكل اصلاح ، ويهزأون بكل جهاد . ويمدون ألسنتهم في وجه الامة ، بدون ان يحسبوا للنهاية اي حساب . لقد كانوا يعتقدون خطأ ، انهم خالدون على الدهر ، وان العهد باق لهم الى نهاية العالم :.. وان المزرعة لن تفلت من ايديهم ، وان عبقرية العهد لا تحرم وسيلة من البقاء ولو على جماجم الناس ...

ولكن الرياح لم تجر كما كانت تشتهي سفينة العهد ، لان تيار المعارضين الاحرار كان قد قذف بها الى اليمّ ، فأغرقهـا واذرى اشلاءها على الشاطىء بين مد البحر وجزره ..

ولم تعد فضائح العهد « السعيد » سراً من الاسرار الغامضة ، فهي قد اصبحت على كل شفة ولسان ، في المجتمعات ، والبيوت ، والاندية ، حتى على المسارح ! .

وانطلقت حناجر المغنين ، والمطربين ، والشعراء الشعبيين بالتشنيع والتقريع ، واطل علينا عمر الزعني باغنيته السافرة المشهورة: « جددلو .. » التي لم تبق على العهد « ستراً مغطى » كما يقولون . وبقي الناس يتداولون هذه الاغنية ، ويتجاذبون مقاطعها لانها اعطت عن ذلك العهد « السعيد » صورة حيّة ، ناطقة ، بينما رجال الامن انطلقوا في الشوارع يفتشون على الشاعر ، لانه « مس ما لا يمس » لكي يودعوه السجن ، تأديباً له على صراحته ...

وما كاد العهد ينهار على رؤوس اسياده حتى رأينا عمر الزعني يسرع الى شركات الاسطوانات ليسجل اغنيته الانتقادية الرائعة ويعرضها للبيع في السوق ، بدون ان يخشى هذه المرة بطش الانصار والزلم ... وبدون ان يعرض نفسه لغياهب السجون ...

على طريق الانهيار

وكان العهد في هذه الاثناء قد بدأ ينهار ...

وبدأ « التاج » يتدحرج ...

وبدأ اهل البطانة يفكرون بالنهاية ، ويستعدون لمقابلة وجه ربهم ...

وكشفت المعارضة عن رأسها . وتنادت الى مؤتمر دير القمر ولسان حالها يقول : « عليّ وعلى اعدائي »... اما ان ينهار العهد، واما الثورة ...

وتوجس العهد خيفة من ذلك الاجتماع . وراح يفكر بالبطش . ولكنه خشي ان يصطدم بالثورة ، لان المعارضة كانت على اشد الاستعداد لخوض المعركة .

وكان اجتماع دير القمر بمثابة اول خنجر في صدر العهد . واتخذت فيه مقررات خطيرة كان على العهد ان يأخذها بعين الاعتبار ، ويترك الحكم فوراً . ولكنه بقي صامداً في وجه الشعب

يلعب ورقته الاخيرة ، بعد ان تلاشت قواه ، وهبطت معنوياته الى تحت الصفر ...

ورأى المعارضون ان يحتكموا للشعب الذي هو مصـــدر السلطات ، فطلبوا منه ان يضرب احتجاجاً على الحالة السيئة التي وصلت اليها البلاد وان يكشر في وجه العهد ، واسياد العهد وان يقفل ابوابه تأييداً لحقه ، وانتقاماً من الظالمين . فاذا الشعب يلبي الدعوة باعصاب فولاذية ، ويجمع على تأييد المعارضين بجـــرأة ادهشت الملأ .

وحاول العهـد ان يتنطح لارادة الامـة ، وان يعبث بارادة الشعب ، فجمع حوله الزلم والانصار ، واغدق عليهم المال بدون حساب ، واطلقهم في الشوارع والطرقات « يحذرون » الناس من الاضراب ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ .

كانت النتيجة ان اضطر زلم العهـد انفسهم ان ينزلوا على حكم الشعب ، ويقفلوا متاجرهم ودكاكينهم خوفاً من سوء العاقبـة ، بعد ان اجمعت الامة اجماعاً تاماً على تأييد المعارضة ، والانطلاق في موكبها نحو الهدف المنشود ...

مسكين ... منصور لحود

وفي وسط هذه العاصفة الشديدة ... اعتدي على القومندان

منصور لحود المرافق الخاص للرئيس السابق ، لانه سبّ ديك السلطان . .

بل لانه قذف السلطان بكلمات سافرة ، وتنكر له في بعض الشؤون ! .

والقومندان لحود كان من زلم العهد ، ومن اهل البطانة . وكان لزمن مضى يذبح بظفره ، ويلعب على المسرح السياسي اهم الادوار ... فكيف تأتيه الضربة من اهل البطانة انفسهم ؟!

ان للقومندان لحود حكاية طويلة ، لا بأس من شرح ما تيسر منها للقارىء في هذا الكتاب :

كان القومندن لحود سنة ١٩٤٣ ملازماً في الجيش ، فألحق بالرئيس السابق بواسطة المطران عبدالله الحوري ، الذي كانت كلمته في ذلك العهد لا تردّ ، فهو الرئيس الحقيقي للحزب الدستوري ...

وعندما استقر منصور لحود في قصر الرئاسة، بدأ نفوذه يتسع فطلب من الرئيس السابق ان ينقله من الجيش الى الدرك لكي يقفز درجات الترقية بسرعة ، فكان له ما اراد ، وفي غفلة من الزمن « نط » الى رتبة مقدم ...

وانتدب منصور لحود لمرافقة عقيلة الرئيس السابق مرتين الى مصر ، وثلاث مرات الى اوربا ، كما انتدب لبعض المهمات السياسية

لدى المغتربين في اميركا الجنوبية بموافقة المرحوم رياض الصلح .

وراح الناس يتحدثون عن نفوذ منصور لحود في القصر ، وعن شخصيته المرموقة لدى اهل البطانة ، وكأنهم يتحدثون عن رئيس الوزراء ... واذا باصحاب القضايا يسعون اليه ، ويتبركون من انامله الطاهرة ... لانه الرجل بات من زلم العهد الاشاوس ، ومن اقرب الناس الى القصر .

وفي الاونة الاخيرة اصبح منصور لحود موضوع شك وارتياب في نظر بعض الانسباء والاقرباء . وشعر الرجل بان الخطر بدأ يدنو منه ، فأطلع المرجع الاعلى على المؤامرات التي كانت تحاك له ، كما اطلعه على بعض حقائق اثارت سخط الاقرباء ... « فاتخذوا قراراً » باخراجه من القصر كيفما كان الامر .

ولحق به اثنان من الزلم الى فندق جبيلي في عاليه لكي يعتدوا عليه ، ولكنهم لم يلتقوا به ، فكرروا مطاردته مرة ثانية ، فقيل لهم ان الرجل متغيب عن الفندق ، وانهم لا يعلمون عنه شيئاً ..

وبعد ايام قليلة هاجم اشخاص آخرون في الفندق المذكور ، وانهالوا عليه ضرباً مبرحاً حتى ادموا وجهه ، وهشموا ثيابه . وصادف مرور الشيخ منير تقي الدين في تلك الساعة فرد عنه الضرب . واكتفى الضاربون بما تيسر لهم من «ضرب البوكس» ..

وفي اليوم التالي صدر مرسوم بقبول « استقالة » المقدم لحود من القصر ... وانتصر اهل البطانه عليه الى الابد ! ..

الشعب يقول كلمته

اطل اليوم الاول من الاضراب التام الشامل على البلاد . فكانت دهشة اهل البطانة شديدة ...

انهم لم يكونوا يتصورون بان المعارضة تستطيع ان تقود الامة الى هذا العصيان الشديد .

انهم كانوا يعتقدون تمام الاعتقاد بان الاموال التي وزعت قبل الاضراب على الزلم والمحاسيب كانت كافية لشل حركة العصيان ، او لتخفيف حدتها على الاقل . ولكن اعتقادهم قد اخطأ .

واذا بالمدن اللبنانية الكبرى قد اضربت على بكرة ابيها واضربت معها بعض القرى التي لم توجه اليها الدعوة الى الاضراب. فكان ذلك اليوم العظيم من الايام المحجلة في تاريخ لبنان .

ثم اطل اليوم الثاني – الثلاثاء في ١٦ ايلول – فاذا هو اروع من اليوم الاول ، واذا بالشعب اللبناني يستبسل ويتفانى في محاربة العهد . واذا بالوساطات كلها التي بذلت لفك الاضراب تبؤ بالفشل التام ، لان الشعب كان قد قال كلمته ، والويل لمن يقف في وجه الشعب ! .

واعتقدت فئة من المعارضة « المعتدلة » انها تستطيع ان تنفصل عن الجبهة الاشتراكية ، وان تدعو الشعب الى فتح الابواب ، فوزعت النشرات في الاسواق من اجل هذه الغاية، ولكن الشعب لم يصغ اليها ، واستمر في الاضراب ، لانه يعرف تماماً ان الغاية المنشودة من الاقفال لم تتم ...

وان العهد لا يزال قائماً ..

وان الكراسي لم تهو بعد ...

وان الدف لم ينفخت ، والعشاق لا يزالون متربعين على عرش الاقطاعية في المزرعة ! .

وكان اليوم الثالث من الاضراب اشد هولا من اليومين السابقين ، وكان اليأس قد تسرب الى نفوس اعضاء الشلة ، فراحوا يبحثون مصيرهم على ضوء الحوادث ! .

سلام يا صائب ! .

جرت حوادث الاضراب هذه كلها في ظل وزارة الاستاذ صائب سلام ، فكان عليه ان يجابه التيارين في وقت واحد تيار المعارضة ، وتيار الموالين .

المعارضة تنشد رأس الشيخ بشاره الخوري على رؤوس الاشهاد ، والشيخ بشاره ينشد رأس المعارضة باي ثمن كان ! .

واعتقد رئيس الحكومة الموقتة الاستاذ صائب سلام ان استصدار بعض المراسيم القاضية باقصاء كبار الموظفين المسؤولين عن الفوضى في دوائر الحكومة يخفف من حدة الشعب، ويهدىء من روع المعارضة، فاطاح «بدزينة» من الرؤوس، وعفى ... عن البقية الباقية منها، لامر لا تزال منه على جهل تام ... ولكن ذلك لم يؤثر في نفوس المعارضين، لانهم كانوا قد حددوا هدفهم، فهم يريدون رأس الشيخ بشاره دون سواه. ولا فائدة من «تغطية السماوات بالقبوات» ...

ورأى صائب بك ان الفشل بدأ يكشر له عن انيابه الغليظة، وانه اذا لم يبسط يده للمعارضة فلا بد له من الاحتراق بنار الشعب ...

وكان الرئيس سامي بك الصلح يقود حركة المعارضة في بيروت مع الرئيس عبدالله اليافي بمنتهى الشدة والجرأة!.

وكانت القنبلة الشديدة التي الفاها الرئيس الصلح امام مجلس النواب لا تزال ترن في كل اذن من اذان اللبنانيين ...

وكانت التهم الشديدة التي وجهها الصلح الى القصر، والى اهل البطانة، والى العهد لا تزال موضوع احاديث القوم في خلواتهم واجتماعاتهم العامة والخاصة ...

وكان الرئيس الصلح يتحفز لاقامة الدعوى على العهد مطالباً برئاسة الوزارة ... فهو لم يكن قد استقال ، ولم يكن المجلس قد حجب عنه الثقة ...

واما وزارة ناظم اعكاري وموسى مبارك وباسيل طراد فقد كانت في نظره ، ونظر كمال جنبلاط وزارة ارتجالية اعتباطية ، مخالفة للدستور اللبناني ...

وكانت المعارضة في هذه الاثناء قد احتاطت الرئيس الصلح من كل صوب ، وتعاهدت معه على اكمال معركة التحرر الى النهاية . وفي هذه الحالة كيف يستطيع الاستاذ صائب سلام ان ينسلخ عن زعماء بيروت ، وعن رغبات الشعب ؟ ! .

واختلى الرئيس سلام اكثر من مرة بالشيخ بشاره وافهمه بان الشعب قد قال كلمته ، ومن الافضل له — اى لرئيس الجمهورية — ان يتنحى عن الحكم ...

ولكن الرجل لم يقبل في بادىء الامر ، لان اهل البطانة كانوا قد التفوا حوله التفاف السوار بالمعصم ، واقنعوه بالبقاء . ولكن كيف يبقى والامة تثور في وجهه والمعارضة تتحداه بشتى الاساليب والطرق .

الاستاذ ريمون اده عميد الكتلة الوطنية

وكان عميد الكتلة الوطنية الاستاذ الكبير ريمون اده لولب حركة العصيان .

وكان له الفضل الكبير في جمع الصفوف ، وتوحيد الكلمة ضدّ العهد . فهو لم يهدأ طوال تلك الساعات الدقيقة التي مرّت في تاريخ لبنان ، ولم يغمض له طرف .

لقد عاهد نفسه ورفاقه في الكتلة على تحطيم العهد . فهو اذاً لن ينام قبل ان يرى الانهيار بعينيه... ويضع اصبعه على الجرح!.

وكان العهد نفسه قد بسط يده بالحاح للعميد الشاب يسأله ان يطلب ويتمنى ... واذا به يجابه تلك «التمنيات» بابتسامة هادئة ، واعصاب متزنة قائلا : انتم تعرفون ماذا نطلب ، فلا فائدة اذاً من العروض مهما كانت سخية ! .

وكان يوم الاربعاء في ١٧ ايلول فاذا بنواب العهد يعقدون اجتماعاً لانقاذ الموقف ، فلا يجدون منفذاً للخروج من تلـــك الازمة ، وانقاء غضبة الشعب الا بتوقيع عريضة في تأييد العهد ، وتجديد الثقة برئيس الجمهورية . .

واذا الشعب اللبناني في واد ، ونوابه في واد آخر . الشعب ينشد رأس الحاكم ، والنواب يندفعون الى تأييده ، رضي الشعب ام ابى ...

واذا بعريضة التاييد تحمل ثمانية وخمسين توقيعاً من تواقيع نواب العهد ...

ولكن غضبة الشعب لم تهدأ ، فما الفائدة اذا من الحبر والورق. وما الفائدة من تاييد النواب ؟ .

وكانت اجراس التلفون في مكتب عميد الكتلة الوطنية لا تعرف الصمت . وكانت العروض المغرية تنهال عليه من كل صوب.

ولكن الرجل كان عارفاً تماماً بان العهد يعالج سكرات الموت الاخيرة ، وان رئيس الجمهورية قد افرغ آخر سهم في الجعبة ، ولا بدّ له من الاستقالة بين ساعة واخرى . ولكنه بقي صامتاً ، لا يدلي بالسرّ الى احد ...

المقلب الاخير ...

وكان اهل البطانة قد اعدّوا مقلباً جديداً «لحل الازمة» هو اخر اسهم بقي بين ايديهم ، ، وهو ان يكلف الحاج حسين العويني بتاليف وزارة جديدة بدلاً من السيد نائب سلام تتولى «تطهير» البلاد من المعارضين ، وذلك بارسالهم كلهم الى السجون ، واعلان الاحكام العسكرية في البلاد .

وبالفعل كلّف الحاج حسين العويني بتاليف تلك الوزارة ولكن احد كبار المسؤولين نصحه بالانسحاب من هذا المأزق بعد ان افهمه بان عملا مثل هذا من شانه ان يغرق البـــلاد في جحيم الثورة ، ويصبغ الارض بالدم ...

واذا ذاك انسحب العويني من «الطابق» ..

في هذه الاثناء كان عميد الكتلة الوطنية الاستاذ ريمون اده يلعب دوره الخطير في اعادة كيد العهد الى نحره ...

كان يحمل بين يديه تلك العريضة الشهيرة ، ويحمـــل نواب

المعارضة واحداً واحداً على توقيعها يرّد بواسطتها ذلك الافتراء الذي «فبركته» بطانه العهد لكي تبرّر موقفها في اعتقال اقطاب المعارضة ، وارسالهم الى السجون ...

وعندما انتهى من توقيع تلك العريضة سلّمها الى مرجع كبير في الدولة ، وهذا اتخذ منها سلاحاً لمجابهة الموقف ولارغام «ابطال» العهد على قلب تلك الاسطوانة .

وكان هذا الرّد البليغ من قبل عميد الكتلة الوطنية ، بالاضافة الى الموقف المشرف الذي وقفه الجيش اللبناني الباسل من القضية ، السبب الاساسي لحمل رئيس الجمهورية السابق على تقديم استقالته ...

نص الاستقالة

وفيما يلي نص كتاب الاستقالة :

« حضرة رئيس المجلس النيابي الافخم .لما كنت قد صممت على اعتزال منصب رئاسة الجمهورية ، ارجو منكم التفضل باخذ العلم بذلك شاكراً لمجلسكم الكريم وللشعب اللبناني ما لقيته اثناء ولايتي من ولاء ومحبة ولي ملء الامل ان يوفق مجلسكم بانتخاب خلف لي يحافظ على كيان هذا الوطن اللبناني وعلى استقلاله وسيادته وعلى الميثاق الوطني الذي هو دعامة هذا الاستقلال لانه يؤمن

الحب والوئام بين جميع الطوائف التي يتالف منهـا هذا الوطن العزيز وتفضلوا بقبول جزيل الاحترام »

١٨ ايلول ١٩٥٢

رئيس الجمهورية : بشاره خليل الخوري

قال الراوي

كانت الساعة قد بلغت الثانية بعد منتصف ليـل ١٦ – ١٧ ايلول .

وكان النواب الـ ٥٦ يلازمون القصر على امل ان يوفق السيد حسين العويني بتأليف وزارة تحميها حراب الجيش ولو ادت الى مجزرة اهلية دامية ، ولكن اللواء شهاب ، بعـد استشارة رفاقه القواد والضباط ، ورفضهم هذه « المهمة » عاد يبلغ الرئيس السابق ان الجيش لا يمكنه مقاومة الشعب بالسلاح ، اسرع الرئيس حينئذ الى غرفة العائلة وابلغهم انه صمم على الاستقالة، ثم دخل غرفة خاصة كتب فيهـا الاستقالة وجاء بها الى احمد الاسعد . فتناولهـا الاسعد منه وقرأها وهو مصفر اللون ، ثم صرخ بصوت مسموع : يا لطيف ! وضرب الطاولة بيده ...

وفي اليوم التالي قابل رئيس المجلس اللواء شهاب قائد الجيش وطلب منه ابعاد رئيس الجمهورية عن الاراضي اللبنانية . وعندمـا

رفض القائد ذهب الاسعد بنفسه الى الشيخ بشاره وابلغه بان البلاد لا تقبل ببقائه فيها .

وبعد ذلك مضى الى منزل الاستاذ كميل شمعون واعلن تأييد له ، وللجبهة الاشتراكية .

وقد كان لاستقالة رئيس الجمهورية من منصبة دوي هائل في النفوس ! ..

***

هذا قابلها بالوجوم والاصفرار . وذاك قابلها باظهار الاسف والاحتجاج وغيره بفرك اليد فرحاً واغتباطاً . وغيره بدهشة المشكك المرتاب . وغيره بضرب رأسه بالجدار . الى اخر تلك الانفعالات النفسية التي استبدت باعصاب النواب في تلك اللحظة الرهيبة .

اما النائب الاستاذ عبدالله الحاج، فكان قد ذهب ليلة الاستقالة فنام منذ الساعة العاشرة والنصف بينما رفاقه نواب الجبهة الاشتراكية استمروا ساهرين حتى الصباح .

وفي الساعة الثالثة صباحاً ، رن جرس التلفون في غرفة عبدالله الحاج ، ففتح عينيه وامسك السماعه وقال : آلو مين ؟ فأجابه صوت صاعق : انا ريمون ، بعدك نايم ؟ الرجال قدم استقالتو...

قوم . قوم . تعا تا نشوف شو بدنا نعمل . ولكن عبدالله الحاج اجاب ببرودة : الله يبشرك بالخير ... يـــلا جابي ... لكن لا لا تتعجب اذا وجدتني رحت نمت . فأنا متوقع النتيجة ، طـال الوقت ام قصر . لانني اعتمد على المعادلات الحسابية التي تقول : ٢ و ٢ تساوي ٤ .

وغضبة شعب ونضال المعارضة وسوء حالة بلاد ، تساوي اقالة رئيس جمهورية .

واخيراً جاء عبدالله الحاج .

فكان اول ما فعل ، انه اسرع الى استلام كتـاب الاستقالة وذهب الى المجلس لتسجيله لكي يأخذ الصفة الرسمية دون ابطاء !

وذهب الى المجلس باكراً ولم يجد احداً سوى رئيس الديوان السيد محمد الصانع (ابو سعيد) فلم يقل له شيئاً ، بل طلب اليه ان ياخذ القلم ويفتح السجل ويضع التاريخ ، ويهيء الخاتم !.

فلما فعل ذلك ، دفع اليه الاستقالة واخذ وصلها .

وكان هذا النبأ مفاجأة لرئيس الديوان فهو قد اثر على اعصابه فاخذ يكتب ويده ترتجف ...

وفي صباح يوم الاستقالة ذهب الشيخ خليل النجل الاكبر لرئيس الجمهورية السابق لكي يعمل «صبحيه» عند عمه الشيخ سليم ،

فدارت بينهما مشادة عنيفة اتهم خلالها الشيخ سليم ابن اخيه خليل بأنه هو الذي «شرشح» العهد ، واساء الى سمعة العائلة ...

وانتهت المناقشة بان صفع الشيخ سليم السيد خليل على وجهه ... فاضطر هذا الى الانسحاب من منزل عمه والالم يتأكل نفسه ،والمصيبة تشوي قلبه بنارها المحرقة .

كيف «شرشح» العهد ؟

بقي علينا ان نتساءل : كيف شرشح السيد خليل الخوري العهد ، واساء الى سمعة الحكم في البلاد ؟ .

ان الشيخ سليم ، عندما صفع خليل ، لم يقل لنا ما هي الاساءات التي ارتكبها ذلك الخليل ... فاستحق من اجلها الصفع ؟

اما نحن فنعرفها . واذا شئت نعرف شيئاً قليلا منها . ولا بأس من اثباتها هنا ، ما زال الحديث يتناول « ولي العهد » ..

لقد كان «شيخنا المعظم» خليل الخوري مسيطراً على كثير من الدوائر والشركات والبيوت التجارية في لبنان ، يتناول منها « الضرائب والرسوم » باليمين والشمال ، ويحشدها في البنوك والمصارف بدون ان يحسب للعاقبة الوخيمة اي حساب !

فهو قد كان مستشاراً «قانونياً» للبنك اللبناني السوري في بيروت ...

ووكيلاً عاماً لبنك مصر – سوريا– لبنان ...
ووكيلاً عاماً لبنك لبنان والمهجر ...
ووكيلاً عاماً لشركة شينمتو الشرق (ترابة شكا)
ووكيلاً عاماً لشركة الجرّ والتنوير في بيروت
ومستشاراً مفوضاً لشركة الضمان الوطني
ومستشاراً حقوقياً لشركة الكوكا كولا
ووكيلاً ثانياً لشركة التابلين مع الاستاذ حبيب ابي شهلا
ووكيلاً لعدد آخر من كبار شركات البترول الاميركية
ووكيلاً عاماً لمحلات فتال الشهيرة في بيروت
ووكيلاً عاماً لمحلات كتانه ...
ووكيلاً عاماً لمحلات فرعون وشيحا .
ووكيلاً لمحلات ابناء روفايل فرعون ، ومحلات الاشقر .
ووكيلا عاماً لمحلات درويش يوسف الحداد وشركاه
وكان حضرته يتناول من تلك الشركات اجوراً سنوياً باهظة تتفق مع «مواهبه» الفياضة ، وعبقريته النادرة في المحاماة ..

ولو اكتفى خليل بوكالة هذه الشركات لهان الامر ، ولكن اطماعه لم تقف عند حدّ معقول ، فهو قد مد يـــده الى كل عود

اخضر في البلاد ... حتى بات من اصحاب الثروات الكبرى ! .

ولعلّ القراء الكرام يذكرون ان المغتربين اللبنانيين لقبوا سنة ١٩٤٣ على اثر معركة الاستقلال الى رئاسة الجمهورية الوف الدولارات بمثابة اعانات وتعويضات للمتضررين في المعـــارك ، خصوصاً المنكوبين منهم ، واهل الضحايا والفقراء البائسين .

فهل «للأخ» خليل ان يحدثنا ببلاغته المهددة عـن مصير تلك الدولارات ... وعن العائلات المنكوبة التي وزعت عليها تلك الثروات ؟ .

معركة الرئاسة الاولى

وبدأت معركة الرئاسة .

وكانت الفترة الفاصلة بين يوم الاستقالة ويوم الانتخاب خمسة ايام فقط ! .

وبدأ التطاحن شديداً بين المرشحين الحقيقيين : كميل شمعون وحميد فرنجيه .

وحاول العهد في هذه الاثناء ان يمدّ رأسه بـين الرؤوس ، ويلقي بدلوه بين الادلاء ولكنه فوجىء بالخيبة المريرة . فـــلا الشعب ،ولا المعارضون الذين حاربوا العهد ، ولا احد من الاحرار

على الاطلاق يقبل ان يكون الرئيس الجديد ذيـــلاً للرئيس السابق ! .

فالمعركة يجب ان تنحصر بين القديم والجديد . بين المعارضين والموالين ، لا ثالث بينهما ! .

واراد بعض النواب والزعماء ان يقفوا على رأي اللواء شهاب قائد الجيش اللبناني ، لمعرفة ما اذا كان يقبل بترشيح نفسه للرئاسة ام لا . وكان اول من تحدّث اليه في هذا الموضوع نائب الشمال الاستاذ حميد فرنجيه في مقابلته الخاصة له في وزارة الدفاع الوطني. ولكن اللواء شهاب اكد لمحدثه بانه لا يطمح الى الرئاسة ، ومن اجل ذلك فهو لن يرشح نفسه لها .

وكرّر عليه الاستاذ فرنجيه الزيارة ، وكرّر عليه السؤال ولكن بدون جدوى . واذ ذاك قرّر الاستاذ فرنجيه ترشيح نفسه للرئاسة ضدّ الاستاذ كميل شمعون ، وقرر المرشحان الصديقان ان تكون المعركه رياضية بينهما فمن يحرز العدد الاوفر من الاصوات يفرغ له الآخر اصواته ...

وفي اللحظة الاولى من المعركة ، اي في الساعة العاشرة من صباح الخميس في ١٨ ايلول طرق السيد احمد الاسعد باب النائب

كميل شمعون فاعرب له عن تأييده التام مع اعضاء كتلته .

كان ذلك بعد استقالة الرئيس السابق ببضع ساعات قليلة . وهكذا حذا حذوه على الاثر نائبا طرابلس السيدان سعدي المنلا ، ورشيد كرامه ، وفريق من نواب بيروت .

وعندما غابت شمس الخميس كان النائب كميل شمعون يظفر بثلاثين صوتاً من اصوات النواب ، بينما كان الاستاذ فرنجيه لا يزال متردداً في اعلان ترشيحه .

ولما كان النائب كميل شمعون هو الخصم اللدود للرئيس السابق . ولاهل البطانة ، والمحاسيب والزلم ، فقد اتجهت انظار النواب الدستوريين الذي يدينون بالفضل ، وعرفان الجميل للرئيس السابق ، نحو حميد فرنجيه ، نكاية بكميل شمعون ! .

ووقف هنري فرعون ، واميل لحود ، وفيليب تقلا الى جانب الاستاذ فرنجيه يناضلون من اجله ، ويبذلون كل ما يملكون من نشاط لتأمين الاكثرية لحميد ، او لتأمينها على الاصح ، ضد كميل شمعون ... وفي فترة قليلة من الوقت استطاع الاستاذ فرنجيه ان يجمع حوله ما لا يقل عن ٢٥ نائباً .

وفي مساء الاثنين في ٢٢ ايلول كان الاستاذ كميل شمعون يملك ٣٧ صوتاً ، والاستاذ فرنجيه ٣٥ صوتاً . وكانت المعركة قد بلغت ذروتها بين انصار كميل وانصار حميد ، لان موعد الجلسة جلسة الانتخاب كان قد دعمهم ؛ واصبحوا منه على قاب قوسين !.

كيف تبدل الموقف

في الساعة الخامسة من بعد ظهر الاثنين انضم الى النائب شمعون الشيخ شفيق الضاهر فاصبح عدد انصاره ٣٨ نائباً ، وبقي انصار فرنجية ٣٥ فيكون النائب شمعون قد سبق زميله فرنجيه بثلاثة اصوات .

وبينما كان نواب بيروت يتبادلون الرأي في مجلس النواب لاتخاذ قرار نهائي في الموضوع كان النائبان الارمنيان يعلنان في وسط دهشة النواب تأييدهما للنائب شمعون نزولاً على القرار الذي اتخذه حزب الطاشناق واذا بعدد المؤيدين للنائب شمعون يرتفع فوراً الى الاربعين .

وكانت النتيجة النهائية هكذا : كميل شمعون ٤٠ حميد فرنجيه ٣٥ ، نائبان حياديان ...

وكان «الشرط» بين المرشحين المذكورين شمعون وفرنجيه ان يفرغ الذي يملك العدد الاقل من الاصوات ، اصواته الى من يملك العدد الاكبر . ولما «فوتح» الاستاذ فرنجيه بهذا الموضوع اجاب . اذا كان زميلي الاستاذ شمعون يملك العدد الاوفر من اصوات النواب فأنا لعلى اتم الاستعداد للتنازل له فوراً ...

وهكذا كان ، واذا بالنائب شمعون يذهب بنفسه الى مقابلة زميله الاستاذ فرنجيه ، فيتصافح الرجلان ، ويتبادلان التهاني وتنتهي المعركة في تلك اللحظة اي قبل اجتماع النواب ، والقاء الاصوات في صندوقة الاقتراع ...

وهكذا بدأت المعركة بروح رياضية طيبة ، وانتهت بروح رياضية . ايضاً وفي اليوم التالي اعلن المجلس النيابي انتخاب الاستاذ شمعون باربعة وسبعين صوتاً . ووجدت في الصندق ورقة بيضاء هي ورقة الرئيس شمعون ، وورقة تحمل اسم النائب الاستاذ عبدالله الحاج وتخلف نائب واحد عن الجلسة هو الشيخ سليم الخوري!.

وفي الجلسة نفسها اقسم الرئيس الجديد يمين الاخلاص للدستور ، واطلقت المدفعية في الجيش اللبناني ٢١ طلقة في تحيـــة رئيس الجمهورية الجديد .

نهاية العهد

هكذا كانت نهاية عهد الفوضى ، والطغيان ، والسمسرة ، والاستهتار والاقطاعية الفاسدة .

وهكذا استعاد الشعب حريته من الذين تنكروا لها ! .

واسترجع سلطانه الذي انتزعه منه العهد ! .

وانهارت صروح الظلم وتلاشت الشهوة ، وتنفس الشعب الصعداء .

وبرهن الشعب على ان الكلمة له اولاً واخراً ، وعلى انه هو المسؤول عن نفسه ، وهو مصدر كل سلطة ! .

لقد انتهى عهد الظلم ، وقام على انقاضه عهد جديد تتجسم فيه ارادة الامة .

وسرت الطمأنينة في النفوس ، واستعادت الوجوه الشاحبة بشاشتها ، واشراقها .

وطوي سجّل الانانية والحزبية القائمة ، وفتح امام اعين الشعب سجل جديد ، ناصع البياض .

وظفر الشعب بدون ان تهرق نقطة دم واحدة ، بحقه كاملاً

وبرهن الشعب اللبناني في معاركه الاخيرة على انه من ارقى وانضج شعوب العالم قاطبة .

للتاريخ والذكرى

منذ يوم ٢٧ ايار سنة ١٩٢٦ الذي انتخب فيه شارل دباس اول رئيس للجمهورية اللبنانية حتى يوم الخميس في ١٨ ايلول سنة ١٩٥٢ الذي استقال فيه الشيخ بشاره الخوري مرّ على تاريخ الجمهورية اللبنانية ٢٦ سنة وتعاقب خلالها على سراي الحكم ثمانية رؤساء هم :

شارل دباس — انتخب في ٢٧ ايار ١٩٢٦ وانتهت رئاسته في اول كانون الثاني ١٩٣٤ ، ومات فقيراً .

حبيب السعد — عين رئيساً للجمهورية لمدة سنتين في عام ١٩٣٤ حتى مطلع عام ١٩٣٦ ، وخرج منها كما دخلها نظيفاً عفيفاً لا يملك شروى نقير .

اميل اده — انتخب رئيساً للجمهورية في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٣٦ وكانت مدة الولاية ثلاث سنوات ، مددت على اثر

انتخابات ايلول سنة ١٩٣٧ ثلاث سنوات اخرى ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حمل السلطة يومئذ على وقف الدستور وحل مجلس النواب ، فتنحى رئيس الجمهورية في شهر اذار ١٩٤١ وكان مشهوراً بحزمه ولبنانيته ونزاهته وفصاحته .

الفرد نقاش – عين رئيساً للدولة اولا ثم رئيساً للجمهورية في نيسان ١٩٤١ واستمرت ولايته عامين في قلب سنوات الحرب . واستقال اثر خلاف مع الجنرال كاترو في اواخر ١٩٤٢ وقد اشتهر بعلمه واستقامته وحياده .

ايوب ثابت – تولى رئاسة الدولة في احرج الاوقات وباصعب ادوار الازمة الدولية – في تشرين الثاني عام ١٩٤٢ – وظل بالرئاسة بضعة اشهر تميزت بحوادثها الجسام ، وفي ايار ١٩٤٣ استقال من الرئاسه بعد ان اثبت شخصيته الفذة وطهارة كفه ووجدانه وحزمه

لقد استقال احتجاجاً على تدخل الجنرالين سبيرز الانكليزي وكترو الفرنسي ومصطفى النحاس المصري في شؤون لبنان ، اذ حاولوا دون تنفيذ قراره بتسجيل احصاء المغتربين اللبنانيين

الذين اختاروا عام ١٩٣٧ الجنسية اللبنانية حسب الاتفاقات الدولية وعددهم مئة وثمانية وستون الف لبناني مغترب ، حرموهم حق التسجيل وحق التمثيل في مجلس النواب

بترو طراد – خلف في ايار ١٩٤٣ ايوباً في رئاسة الدولة واشرف في آب ١٩٤٣ على الانتخابات النيابية الاولى بعد فك عقال الدستور وجعل مجلس النواب ٥٥ نائباً ، وكان كرئيس حكومة موقتة مثال النزاهة حيال تلك الانتخابات

بشاره الخوري – انتخب في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٣ رئيساً للجمهورية بما يشبه الاجماع لمدة ست سنوات ، ولكن انصاره ، اعضاء مجلس ٢٥ ايار المزور جددوا له قبل سنة كاملة من انتهاء ولايته ست سنوات ثانية ، وفيما كان هؤلاء الانصار الشرهون يستعدون لتجديد رئاسته ايضاً للمرة الثالثة فاجأهم الشعب اللبناني بقيادة نوابه الاحرار واحزابه المعارضة الصلبة ، بثورته اللاهبة التي بدأت في ١٥ ايلول واستمرت حتى صباح الجمعة في ١٩ منه ، فاضطر الرئيس الخوري ليل الخميس ١٨ منه الى تقديم استقالته التاريخية ، وهو لم يقطع من ولايته الثانية الا ثلاث سنوات ،

فتكون مدة ولايته اطول ولاية نالها رئيس جمهورية في لبنان ، ولكنها تميزت بالفوضى والطغيان والاستهتار والفساد .

اما الرئيس الثامن ، رئيسنا الجديد الحالي صاحب الوجه المشرق الصبوح الذي انتخبه النواب قبل ظهر الثلاثاء في ٢٣ ايلول الجاري ١٩٥٢ ، فاننا نرجو ان يجعل الله عهد ولايته عهد خير وبركة واتحاد وسلام !

المؤلف والناشر : نعيم الزيباع

مطابع سيبا - بيروت

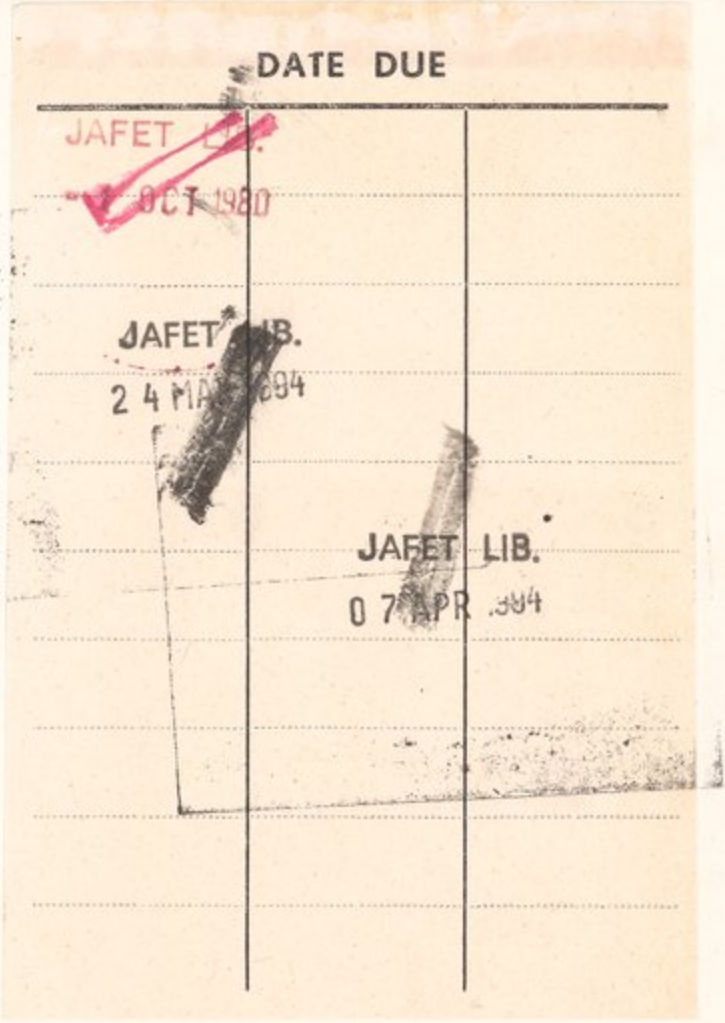
DATE DUE
JAFET LIB.
JAFET LIB.
JAFET LIB.

320.95692:Z21aA:c.1
الزيلع ،نعيم
العهد المسؤول، ابصر النور سنة ١٩٤
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01015836

320.95692
Z21aA